الاطمئنان في القرآن الكريم

نماذج مختارة

إعداد

أ. م. د. صديق خليل صالح

Dr. Sedeeq Khalil Salish

Research Summary

The wisdom of Almighty Allah has required that the prophet's miraculous and eloquent Holy Quran to be of the same genus of what was famous and distinguishable by the Arabs at that time . This book, which has been a memorable miracle through all the ages and times, is considered in addition to being a proof of God's greatness and inspiration, guidance and counseling for people in religious and secular life

Due to its importance of leading humanity to the safety boarder, Reassurance is one of the concepts that the holy Quran has taken into consideration from different perspectives and for different purposes

Many reasons has inspired me to write about this topic : The first one is my desire to serve Allah's dearest book .The second is clarify this part of his miracle. The third one is my belief of the need to get back to Allah's book and work thereunder especially with 1 the different diseases that our society suffers from nowadays 2the intellectual , psychological and behavioral pressures that our boys and girls going through 3 the different modern means of communication with its pros and cons and how it affects the society 4 and finally not to forget the economic, security and political issues plaguing our country and our nation . It may be said that subject of the research is about the loss of trust and the disorder situation of our community.

الملخص

إن حكمة الله سبحانه تعالى أن أنزل القرآن على النبي ﷺ، ومن معجزة هذا القرآن أنه بنفس لغة العرب التي اشتهروا بها بذلك الوقت. ويعتبر هذا الكتاب الذي كان معجزة لا تنسى من خلال جميع العصور والازمنة، بالإضافة إلى كونه دليلاً على عظمة الله تعالى، وتوصيته وإرشاده للناس في حياتهم الدينية والدنيوية. والاطمئنان هو واحد من المفاهيم التي اتخذها القرآن الكريم بعين الاعتبار من وجهات نظر وأغراض مختلفة، ونظراً لأهميته في القيادة الإنسانية في تحقيق السلام والاطمئنان. وهناك أسباب كثيرة قد أوحت لي أن أكتب عن هذا الموضوع منها:

الأول: هو رغبتي في خدمة أعز كتب الله تعالى. الثاني: هو توضيح معجزته في هذا الجزء. الثالث: هو إيماني بضرورة أن نعود إلى كتاب الله عز وجل والعمل بموجبه خصوصاً مع:

أ. الامراض التي تعاني منها مجتمعنا في هذا الوقت. ب الضغوطات الفكرية والنفسية التي يمر بها أبنائنا وبناتنا.

ج. إيجابيات وسلبيات الوسائل الحديثة المختلفة وتأثيرها على المجتمع. د. وأخيراً لا ننسى القضايا الأمنية والسياسية والاقتصادية التي تعاني منها بلادنا وأمتنا.

ويمكن القول إن موضوع البحث هو عن فقدان الثقة وحالة الفوضى في مجتمعنا.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي تطمئن بذكره القلوب، وتسكن لوعده النفوس، أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين اطمأنوا بشرع الله المتين ففازوا بالرضا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن تكون معجزة الرسول ﷺ من جنس ما اشتهر به العرب ونبغوا فيه، ألا وهو كتاب الله المعجز البليغ، وجعل به المعجزة الخالدة على مر العصور والأزمان، فهو كتاب هداية وإرشاد للناس في حياتهم الدينية والدنيوية، وخطابه موافق لكل عصر ومناسب لجميع الأجيال مما يدل على عظمة إعجازه وكونه وحياً من عند الله سبحانه وتعالى.

والاطمئنان يعد من الأمور التي تطرق إليها القرآن الكريم من جوانب متعددة، ولأغراض متباينة، تسير بالإنسان إلى شاطئ النجاة، ومما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب، منها:

- رغبتي في خدمة كتاب الله العزيز، وبيان شيء من إعجازه ـ على قدر الوسع والطاقة ـ التي نستمدها من الله سبحانه، وهو الذي لا يكلف نفساً إلا ما آتاها.
- حاجتنا اليوم إلى الرجوع إلى كتاب الله تعالى والعمل بمقتضاه، ولاسيما بعد ابتعادنا عنه، وعزوفنا عن تلاوته، وفهم معانيه، ولا يخفى على ذي لُبِّ هذه الأيام الأمراض التي يعاني منها المجتمع والتصدع الحاصل في الأسرة المسلمة، والضغط الفكري والنفسي والسلوكي الواقع على أبنائنا وبناتنا، وما ذلك إلاّ لأننا شُغِلنا عن القرآن الكريم بوسائل الاتصال الحديثة (مع إيجابياتها) وما خلفته من سلبيات تمسكنا بها، ناهيك عن القضايا الاقتصادية والأمنية والسياسية التي تعصف ببلادنا وأمتنا..

لذلك وغيره، فقد رغبت أن أقف عند آيات نرجع فيها إلى قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾ الرعد: ٢٨

ـ تعلق الموضوع بحاجة الناس، وذلك لفقدان الطمأنينة من المجتمع واضطراب الأوضاع.

وقد قسمت الموضوع بعد المقدمة إلى تمهيد وثلاثة مباحث وهي كالآتي:

التمهيد: تعريف الاطمئنان لغة واصطلاحاً.

المبحث الأول: الاطمئنان بالآيات: وقد تضمن مطلبين:

المطلب الأول: طلب نبي الله إبراهيم ﷺ من ربه مشاهدة كيفية إحياء الموتى.

المطلب الثاني: طلب الحواريين من نبيهم عيسى ﷺ إنزال المائدة من السماء.

المبحث الثاني: الاطمئنان بالعبادة ويتضمن:

المطلب الأول: الاطمئنان بصلاة الخوف.

المطلب الثاني: الاطمئنان بذكر الله.

المطلب الثالث: علاقة الاطمئنان بالشكر على النعم.

المبحث الثالث: الاطمئنان بالملائكة ويشتمل على:

المطلب الأول: الملائكة تطمئن قلوب المؤمنين وتبشرهم بالنصر.

المطلب الثاني: اطمئنان الملائكة في الأرض.

وأنهيت البحث **بخاتمة** بينت فيها أهم النتائج.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه.

التمهيد

اعتادَ الباحثون أن يقدموا لبحوثِهم بدراسةِ العنوانِ، لذلك لا بد لنا أن نتعرف على لفظة الطمأنينة لغة واصطلاحاً فنقول:

أولاً: الطمأنينة لغة: هي الاسم من الاطمئنان الّذي هو مصدر قولهم: اطمأنّ الشّيء يطمئنّ إذا سكن، وذلك مأخوذ من مادّة (ط م ن) بزيادة الهمزة، يقال فيه: اطمأنّ المكان إذا ثبت و استقرّ، واطمأنّ الرّجل اطمئناناً وطمأنينة أي سكن، قال تعالى﴿ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ النساء: ١٠٣أي: إذا سكنت قلوبكم، يقال: اطمأنّ الشّيء إذا سكن وطمأنته و طمأنته إذا سكّنته، وقوله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ الرعد: ٢٨، معناه: إذا ذكر الله بوحدانيّته آمنوا به غير شاكّين، وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ﴾ الفجر: ٢٧هي الّتي قد اطمأنّت بالإيمان وأخبتت لربّها، أو هي ألّا تصير أمّارة بالسّوء، و اطمأنّ وتطامن متقاربان لفظا ومعنى(١).

ثانياً: الطمأنينة اصطلاحاً: هي السّكون بعد الانزعاج(٢) وذهب صاحب البصائر إلى أنها (سكون أَمْن فيه استراحة أُنس)(٣) وهي شرعاً (مقدار التسبيحة في أركان الصلاة)(٤). مما تقدم يتفق المعنيان اللغوي والاصطلاحي للفظة الطمأنينة بأنها السكون والثبات والاستقرار واليقين وعدم الشك.

---

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ٦/ ٢١٥٨ مادة (طمن)، ومقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م:٣/ ٤٢٢ مادة (طمن)، والمفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة:٣٠٧ مادة (طمن) و لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ، ١٣/ ٢٦٨ مادة (طمن).

(٢) ينظر: المفردات:٣٠٧ مادة (طمن).

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة:٣/ ٥١٧.

(٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت:٥٨٥

المبحث الأول
الاطمئنان بالآيات

مدخل:

الإنسان، ذلك المخلوق العجيب قد جُبل على حُبّ التطلع والترقي في المعلومات، واكتشاف حقائق الأشياء، فإن كان ذلك ناشئاً عن شكٍ انتقل المتطلع من مرتبة الشك إلى مرتبة اليقين، وإن كان المتطلع يملك مرتبة اليقين ـ قبل التطلع ـ فإنه بعد الاطلاع يزداد يقيناً، وينتقل إلى مرتبة عين اليقين من خلال المشاهدة والحسّ، ويتجسد الاطمئنان بالآيات في موضعين نذكرهما في مطلبين:

المطلب الأول: اطمئنان قلب إبراهيم عليه السلام:

وردت الطمأنينة في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام حين طلب من الله عز وجل: أن يريه كيفية إحياء الموتى، وكان لذكرها في هذا الموضوع أثر مهم وفعال لبناء هذه القصة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾البقرة:٢٦٠.

والكلام في هذه الآية معطوف على الآية التي قبلها في قوله عزّ وجل: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ البقرة:٢٥٩، فهو مثال ثالث لولاية الله تعالى للمؤمنين وإخراجه إياهم من الظلمات إلى النور، في قوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾البقرة:٢٥٧، ومثال ثان لقضية البعث في قوله عز وجل: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾البقرة: ٢٥٩، فالتقدير يكون: أو هو كإبراهيم اذ قال: رب أرني كيف تحيي الموتى..(١).

و (ربِّ) (كلمة استعطاف، شرع ذكرها قبل الدعاء، مبالغةً في استعداد الإجابة)(٢) وابتدأ الخليل عليه السلام سؤاله بكلمة (ربِّ) التي تفيد عنايته بعبيده وتربيته لعقولهم وأرواحهم بالمعارف، لتكون ثناءً واستعطافاً أمام الدعاء(٣)،

---

(١) ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧ م: ٣/ ٣٨.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل السيد محمود الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، دار احياء التراث، بيروت: ٣/ ٣٦.

(٣) ينظر تفسير القرآن الحكيم للأستاذ محمد رشيد رضا، الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، ط٢: ٣/ ٥٣.

وكفى بهذا شاهداً على فضل إبراهيم ﵇ ويمنه وبركته، إذ سلك في سؤاله مسلك الضراعة في الدعاء وحسن الأدب(١).

ومعنى: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾ هو: (بَصِّرني كيفية إحيائك للموتى)(٢)، وانتصب: كيف، هنا على الحال مجردة عن الاستفهام، كانتصابها في قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ ال عمران:٦(٣).

فقال سبحانه وتعالى لخليله﵇: ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِن﴾، أي: (بقدرتي على الإحياء)(٤)قال النسفي(٥): (وإنما قال له ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِن﴾ وقد علم أنه أثبت الناس إيماناً ؛ ليجيب بما أجاب به، لما فيه من الفائدة للسامعين)(٦)، وفيه إرشاد للمؤمنين إلى ما ينبغي أن يقف عنده كل منهم ويكتفي به في هذا المقام، فالإيمان بهذا السر الإلهي والتسليم فيه لخبر الوحي ودلائله هو منتهى ما يطلب من البشر، فهو تأديب وتعليم لهم على عدم إشغال نفوسهم بما استأثر الله به، فلا يليق بهم البحث عنه(٧).

والواو في ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِن﴾: فواو الحال، والهمزة: استفهام تقريري على هذه الحالة، وعامل الحال: فعل مقدر دل عليه قوله: ﴿أَرِنِي﴾ والتقدير: أؤريك في حال إنك لم تؤمن؟ وهو تقرير مجازي (٨)، فأجاب الخليل﵇ ﴿بَلَىٰ﴾ وهو: (إيجاب لما بعد النفي، معناه: بلى آمنت)(٩)، واللام في﴿لِّيَطۡمَئِنَّ﴾ متعلقة بمحذوف تقديره:

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي البيضاوي، المطبعة الخيرية (د.ت): ١/ ٣٠٥.

(٢) صفوة البيان لمعاني القرآن، للشيخ حسنين مخلوف، الكويت، ط٣، ٠٤٧ هـ- ١٩٨٧م: ٦٤.

(٣) التحرير والتنوير: ٣/ ٣٨.

(٤) تفسير الجلالين للإمامين الجليلين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، قدم له وعلق عليه محمد كريم سعيد، مكتبة النهضة، بغداد: ٥٥.

(٥) هو: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، نسبة الى نسف، من بلاد ما وراء النهر، احد الزهاد المتأخرين، كان رأساً في الفقه واصوله، بارعاً في الحديث ومعانيه بصيراً بكتاب الله تعالى، (ت ٧٠١هـ)، ينظر التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي، دار القلم – بيروت، ط١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م): ١/ ٣٠٤.

(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن محمود النسفي، المكتبة الشعبية، – بيروت: ١/ ١٩١.

(٧) ينظر تفسير القرآن الحكيم: ٣/ ٥٣-٥٤.

(٨) ينظر التحرير والتنوير: ٣/ ٣٨.

(٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة – بيروت: ١/ ٣٩١.

ولكن سألت ارادة طمأنينة القلب(١)، أي: ليسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة(٢)، والمعنى: ليزيد قلبي قلبي سكوناً وطمأنينة باجتماع علم الضرورة مع الاستدلال، فتظاهر الأدلة أسكنُ للقلوب وأزيدُ للبصيرة واليقين، فالمراد بطمأنينة القلب: العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك(٣).

والاطمئنان هنا هو: العلم المحسوس الذي تنشرح به النفس(٤)، (وحقيقة (يطمئن): يسكن، ومصدره الاطمئنان، واسم المصدر: الطمأنينة، فهو حقيقة في سكون الأجسام وإطلاقه على استقرار العلم في النفس وانتفاء معالجة الاستدلال بالاضطراب والحركة مجاز، وشاع ذلك المجاز حتى صار مساوياً للحقيقة، يقال: اطمأن باله واطمأن قلبه)(٥).

وقد ذهب الجمهور: إلى أن نبي الله إبراهيم﵇لم يكن شاكاً قط في قدرة الله سبحانه على إحياء الموتى، وإنما طلب المعاينة ؛ لما جلبت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أخبرت عنه(٦). (وسؤاله ﵇ ذلك ؛ لينتقل من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة عين اليقين،أو من مرتبة العلم الاستدلالي إلى مرتبة العلم الضروري الناشئ عن الحس)(٧)، فالعيان يفيد في المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال(٨)(فإن إبراهيم ﵇ لفرط محبته محبته للوصول إلى مرتبة المعاينة في دليل البعث، رام الانتقال من العلم النظري البرهاني إلى العلم الضروري، فسأل الله أن يريه كيفية إحياء الموتى بالمحسوس)(٩).

ولهذا قال النبي ﷺ: ((لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ))(١٠).

---

(١) ينظر م.ن: ١/ ٣٩٢، والسراج المنير للخطيب الشربيني المطبعة الخيرية، د.ت: ١/ ١٤٣.

(٢) ينظر السراج المنير: ١/ ١٤٣.

(٣) ينظر الكشاف: ١/ ٣٩١-٣٩٢

(٤) ينظر التحرير والتنوير: ٣/ ٣٩.

(٥) م.ن: ٣/ ٣٩.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي، دار الكتاب العربي – القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م: ٣/ ٢٩٧-٢٩٨، والتسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، (د.ت.ط): ١/ ٩١، وتفسير القرآن الحكيم: ٣/ ٥٤.

(٧) صفوة البيان لمعاني القرآن: ٦٤.

(٨) ينظر: السراج المنير: ١/ ١٤٣.

(٩) التحرير والتنوير ٣/ ٣٨.

(١٠) المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن احمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ) دار الحرمين – القاهرة، ١٤١٥هـ تحقيق طارق عوض الله محمد، وعبد المحسن إبراهيم الحسيني: ١/ ١٢، ق٢٥ وقال عنه أبو بكر الهيثمي: (هذا الحديث رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للإمام علي بن بكر الهيثمي ت (٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي – القاهرة ١٧٠٧هـ: ١/ ١٥٣ باب في الخبر والمعاينة.

قال القرطبي(١): (وأما قول النبي ﷺ: ((نَحنُ أَحَقُّ بِالشَّكِ مِن إبراهيمَ)) (٢) فمعناه: لو كان شاكاً لكنا نحن أحق به، ونحن لا نشك، فإبراهيم عليه السلام أحرى أن لا يشك)(٣)، وفي هذا الحديث قطع النبي ﷺ دابر هذا الوهم على سبيل التواضع(٤) نعم... ليس في كلام الخليل ﷺ ما يشعر بالشك، فإنه ما من أحد إلا وهو يؤمن بأمور كثيرة إيماناً يقينياً وهو لا يعرف كنهها ويود لو يعرفها، فعلى سبيل المثال نذكر: الأجهزة التي بين أيدينا من المذياع والتلفاز.. التي تنقل الخبر والصورة من أقصى الأرض إلى أقصى الأرض بمدة يسيرة، يوقن بها الناس، ويقل فيهم العارف بكيفية نقل الصوت أو الصورة بهذه السرعة، أفيقال فيمن طلب بيان هذه الكيفية أنه شاك بوجود المذياع أو التلفاز ؟! لقد كان طلب الخليل عليه السلام هذه المعاينة من هذا القبيل، فيما جُبلت عليه نفسه القدسية من معرفة خفايا الأسرار الالهية، لا طلب للطمأنينة في أصل عقد الإيمان(٥). فقول إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾؟ يشعر ظاهراً أنه كان فاقداً للطمأنينة عند السؤال ! فالجواب موجود في معنى طمأنينة القلب الذي مر ذكره، و(معناه: ولكن ليزول عن قلبي الفكر في كيفية الحياة ؛ لأني إذا شاهدتها سكن قلبي عن الجولان في كيفيتها المتخيلة، وتعينت عندي بالتصوير المشاهد)(٦).

---

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر، كان من علماء الله الصالحين العارفين الزاهدين، له الكثير من المؤلفات المفيدة، ت (٦٧١هـ) في شوال. ينظر التفسير والمفسرون:٢/ ٥٠٠-٥٠١.

(٢) صحيح البخاري للإمام محمد بن اسماعيل عبد الله البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ) دار ابن كثير – بيروت، تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ/ ١٩٩٧م): ٤/ ١٦٥٠، ق ٤٢٦٣، باب (واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحي الموتى). ومسند أبي عوانة للإمام يعقوب بن اسحاق الاسفراييني (٣١٦هـ) دار المعرفة – بيروت: ١/ ٤٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٢٩٨.

(٤) ينظر روح المعاني: ٣/ ٢٧.

(٥) ينظر تفسير القرآن الحكيم: ٣/ ٥٤، والجبال في القرآن الكريم، بحث مقدم الى مجلس كلية الإمام الأعظم لإعداد الائمة والخطباء والدعاة من الطالب صهيب عمر عبد الله، بإشراف د. اكرم عبد الوهاب / ٢٠٠٢م: ٣٢.

(٦) حاشية السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد زين الدين الحسيني الجرجاني (علي الكشاف)، دار المعرفة – بيروت، د.ت.: ١/ ٣٩٢. ومحاسن التأويل (تفسير القاسمي) لعلامة الشام محمد جمال الدين القاسمي (١٢٨٣-١٣٣٢هـ)، صححه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى بابي الحلبي، ط١ ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م: ٣/ ٦٧٤.

وقيل إن إبراهيم ﷷ تشوق بهذه المقالة إلى قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ فقال: بلى، أي أؤمن ولكني اشتقت إلى قولك لي: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾؛ لأن في ذلك تطميناً لقلبي، فالمحب يحرص دائماً على أن يجد خطاب حبيبه على أي وجه أمكن(١). لذلك يقول ابن عباس ﵁ في هذه الآية: (ما في القرآن آية أرجى عندي منها)؛ لأن في قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ بياناً إلى أن الإيمان كاف ليس به حاجة إلى تنقيب وبحث – فهي بشارة لنا نحن البشر معاشر المؤمنين – ويظهر فيها مدى الادلال على الله سبحانه في سؤال الإحياء في الدنيا مع أنها ليست مظنة لذلك(٢).

وقد ذكر المفسرون وجوهاً كثيرة ومختلفة في سبب سؤال سيدنا إبراهيم ﷷ هذا السؤال(٣) وهي غير ما ذهب إليه الجمهور فلم نورد منها شيئاً هنا لطولها، فقد يؤدي بنا المقام إلى الخروج عن صلب الموضوع، وما ذكرناه من قول الجمهور يكفي لإتمام المعنى، والله اعلم.

وقد دلَّ سبحانه خليله إبراهيم ﷷ على طريقة يرى بها كيفية إحياء الموتى رأي العين، وذلك في قوله عز وجل: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ البقرة: ٢٦٠(٤) (ولم (ولم يبين من أي الطيور هي، فالآية حاصلة بأي نوع منها)(٥) (وجيء بـ (من) للتبعيض، للدلالة

---

(١) ينظر لطائف الاشارات، للإمام القشيري قدم له وحققه وعلق عليه د. ابراهيم بسيوني، دار الكتاب العربي – القاهرة،: ١/ ٢١٣.

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٢٩٨، وقيل: إن ابراهيم ﷷ طلب رؤية المحيي تلويحاً بالرمز والإشارة فمنع منها الإشارة بقوله عز وجل﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، إلا أن موسى ﷷ لما سألها تصريحاً فقال: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ منع منها تصريحاً بقوله سبحانه: ﴿لن تراني﴾ (الاعراف/ ١٤٣) ينظر لطائف الاشارات: ١/ ٢١٤.

(٣) ينظر مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦)، دار الكتب العلمية – طهران، ط٢: ٧/ ٣٨-٣٩.. واللباب في علوم الكتاب للإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي ت(٨٨٠هـ) تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م: ٣/ ٣٦٦-٣٦٨.

(٤) ينظر التحرير والتنوير: ٣/ ٣٩.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي (١٣٠٧-١٣٧٦هـ) حققه وضبطه وصححه: محمد زهري النجار، عالم الكتب، ط١ (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م): ١/ ٣٢٤.

على أن الأربعة مختلفة الأنواع)(١) و (قيل: هي الديك والطاووس والحمام والغراب)(٢) وفي تفسير الجلالين (أخذ طاووساً ونسراً وغراباً وديكاً)(٣).

والظاهر أن الحكمة من التعدد والاختلاف هي: زيادة التحقيق في ان الاحياء لم يكن أهون في بعض الأنواع دون بعضها الآخر.

و (الطير) يطلق على الواحد ويكون مرادفاً لـ (طائر) وهو من التسمية بالمصدر، ويطلق على جمعه أيضاً فيكون اسم جمع لـ (طائر) وذلك أن أصله المصدر، والمصدر يجري على الواحد وعلى الجمع، وعلى هذا يجوز القول: إن المراد بـ(الأربعة): أربعة أجزاء من طير واحد، فتكون (اللام) هنا: للعهد، إشارة إلى طير حاضر، أي: فخذ أربعة من أجزائه ثم ادعهن(٤) ومعنى ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ (ضمّهن إليك وملهن)(٥)

وقال القرطبي: (معناه: قطعهن)(٦) وفائدة الامر بإدنائها: أن يتأمل أحوالها، حتى يعلم بعد إحيائها أنها لم يتنقل جزء منها عن موضعه(٧).

وقوله سبحانه ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾: (عطف محذوف دلَّ عليه قوله ﴿جُزْءًا﴾ لأن تجزئتهن إنما تقع بعد الذبح، فالتقدير: فاذبحهنَّ ثم اجعل..)(٨)

وظاهر قوله سبحانه: ﴿عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ جميع جبال الدنيا، فذهب مجاهد والضحاك الى العموم بحسب الأماكن، كأنه قيل: فرِّقها على كل جزء يمكنك التفرقة عليه(٩)، وقال ابن عباس وقتادة: (أمر أن يجعل كل طائر أربعة اجزاء ويجعلها على أربعة أجبل على كل جبل ربعاً من طائر)(١٠).

---

(١) التحرير والتنوير: ٣/ ٣٩.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ٩١.

(٣) تفسير الجلالين: ٥٥.

(٤) ينظر التحرير والتنوير: ٣/ ٣٩-٤٠

(٥) غريب القرآن وتفسيره لأبي عبد الرحمن الزيدي، تحقيق محمد سليم الحاج،ط١ .عالم الكتب: ٩٨.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٣٠١.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٣/ ٤٠.

(٨) م.ن: ٣/ ٤٠.

(٩) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٤/ ٣٧٥.

(١٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م: ٥/ ٥٠٧

وقال الزمخشري(١): (على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي أرضك، قيل كانت أربعة أجبل وعن السدي(٢): سبعة)(٣)، (وقيل: على حسب الجهات الأربع أعني المشرق والمغرب والشمال والجنوب)(٤).

ولعل الحكمة من جعل الطير أربعة أنواع أو أقسام ؛ ليكون وضع تلك الأجزاء على الجهات الأربع، لكي لا يظُن أن لبعض الجهات مزيد اختصاص بتأتي الإحياء(٥) (وقيل الجبال التي وصل إليها حينئذ من غير حصر بعدد)(٦)، والحكمة من وضعها على الجبال هي: الزيادة في التفرقة فيما بينها، (لأن وضعها على الجبال تقوية لتفرق تلك الأجزاء، فإنها فرقت بالفصل من أجسادها، وبوضعها في أمكنة متباعدة وعسر التناول)(٧). ومعنى قوله: ﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ﴾: أي: قل لهن تعالين بإذن الله و ﴿سَعۡيٗاۚ﴾ مصدر في موضع الحال، أي: ساعيات مسرعات في طيرانهنَّ أو مشيهنَّ على أرجلهن(٨).

وأخيرا ختم الله سبحانه هذه الآية بقوله: ﴿وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ (أي: لا يعجز ما يريده، حكيم في تدبيره وصنعه)(٩)، والمعنى أنه عز عز وجل غالب على جميع الممكنات عليم بعواقب الأمور وغايات الأشياء(١٠).

---

(١) هو: محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، ابو القاسم، القاسم، النحوي اللغوي المفسر، المعتزلي، يلقب بـ(جار الله)، ولد (٤٦٧هـ) كان واسع العلم كثير الفضل، صنف الكثير من التصانيف منها: (الكشاف) في التفسير و(أساس البلاغة)، ت(٥٣٨هـ) في ليلة عرفة، ينظر طبقات المفسرينالإمام الحافظ الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ت ٩١١ هـ راجع النسخة وضبط اعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان: ٢/ ٣١٤-٣١٦، و الاعلام لخير الدين الزركلي – بيروت، ١٩٧٠م: ٨/ ٥٥-٥٦.

(٢) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن، تابعي إمام، حجازي الاصل، سكن الكوفة، مفسر وعالم بالمغازي والسير ت(١٢٧هـ) وقيل غير ذلك. ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي تحقيق علي محمد البجاري، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م: ١/ ٢٣٦-٢٣٧.

(٣) الكشاف: ١/ ٣٩٢.

(٤) اللباب في علوم الكتاب: ٤/ ٣٧٥.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٣/ ٣٩.

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ٩١

(٧) التحرير والتنوير: ٣/ ٤٠.

(٨) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/ ١٩٣.

(٩) صفوة التفاسير للأستاذ محمد علي الصابوني، دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م: ١/ ١٥٠.

(١٠) ينظر: مفاتيح الغيب: ٧/ ٤٣.

المطلب الثاني: اطمئنان الحواريين بإنزال المائدة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ المائدة:١١٢-١١٣.

يقول ابن كثير⁽¹⁾: (هذه قصة المائدة، وإليها تنسب السورة، فيقال: سورة المائدة)⁽²⁾، ونداء الحواريين لنبيهم عيسى عليه السلام باسمه يدل على أمرين: **الأول:** للدلالة على أن ما سيقولونه أمر فيه اقتراح وكلفة له طلباً لإقبال سمعه إليهم⁽³⁾.

الثاني: فيه دليل على أنهم لم يكونوا يعظمونه كتعظيم المسلمين نبيهم محمد ﷺ فإنهم كانوا لا ينادونه باسمه، وإنما يقولون: (يا رسول الله، أو يا نبي الله)⁽⁴⁾.

وقولهم له عليه السلام: ﴿ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ يدل على أنهم كانوا يعتقدون فيه الاعتقاد الصحيح من نسبة إلى أم دون أب⁽⁵⁾. وفي قولهم: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ ﴾ مقال: قرأ الجمهور: (يستطيع) بياء الغيبة. وقرأ الكسائي⁽⁶⁾: (تستطيع) بتاء المخاطب⁽⁷⁾.

وحجة الكسائي أنه أجرى الكلام على مخاطبة الحواريين لعيسى عليه السلام، وفيه معنى

---

(١) هو: اسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي، البصري الدمشقي، الشافعي، الحافظ عماد الدين ابو الفداء، حافظ ومؤرخ، فقيه ومفسر، ولد (٧٠١هـ) له عدة مصنفات منها: (البداية والنهاية) في التاريخ، و(تفسير القرآن العظيم) وغيرها، كان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والالفاظ ت(٧٧٤هـ). ينظر طبقات المفسرين: ١/ ١١١-١١٣، والاعلام: ١/ ٣١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي دار المعرفة – بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م: ٢/ ١١٦.

(٣) ينظر التحرير والتنوير: ٧/ ١٠٥.

(٤) ينظر التسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ١٩٣.

(٥) ينظر م.ن: ١/ ١٩٣.

(٦) هو علي بن حمزة بن عبدالله بن مهيمن بن فيروز الاسدي، وهو من أولاد الفرس من سواد العراق، كان إمام الناس في القراءة في عصره، وأعلمهم بالنحو، وأوحدهم في الغريب، سئل عن سبب تسميته بالكسائي فقال: لأني أحرمت في كساء، ت (١٨٧هـ) ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين محمد بن محمد الجزري ت (٨٣٣هـ) دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط٢، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م: ١/ ٥٣٥-٥٣٩.

(٧) ينظر النشر في القراءات العشر، للحافظ محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، ت(٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، (د.ت): ٢/ ٢٥٦.

التعظيم للرب جل ذكره، وهذا كما يقول رجل لآخر: هل تستطيع أن تكلمني، وهو يعلم أنه يستطيع ذلك فمعناه: هل تفعل ذلك، على معنى: افعل ذلك(١).

وقراءة الجمهور: ﴿ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ ﴾ حصل فيها إشكال في المعنى عند المفسرين ؛ لأن الظاهر فيها هو: شك الحواريين في قدرة الله تعالى، وكيف ذلك وقد ذكر لنا القرآن الكريم غير هذا الأمر في قوله سبحانه ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١ ﴾(المائدة:١١١) ؟!(٢)

فذهب الزمخشري إلى أن قولهم: ﴿ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ كلام لا يرد مثله عن مؤمنين مُعظِّمين لربهم، ويشير إلى ذلك قول عيسى ﵇ لهم: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ أي: اتقوا الله، ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته، ولا تقترحوا عليه ما تشتهون من الآيات، فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها، وإن كانت دعواكم للإيمان صحيحة، وقوله سبحانه بحقهم: ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١ ﴾ لم يكن وصفاً لهم بالإيمان والإخلاص وإنما حكى ادعاءهم لذلك، ثم اتبع ذلك بذكر ما قالوه في طلبهم فيظهر أنهم كانوا شاكين(٣).

وذهب الجمهور إلى خلاف ذلك ووجهوا الآية بوجوه منها:

الأول: أن الحواريين كانوا مؤمنين، إلا أنهم طلبوا هذه الآية، ليحصل لهم مزيد من الطمأنينة، تشبهاً بقول نبي الله إبراهيم ﵇: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾البقرة:٢٦٠، وسؤالهم هذا هو تقرير على أن ذلك في غاية الظهور، كقول الرجل لصاحبه: هل تستطيع أن تقوم معي ؟ مع علمه أنه قادر على فعل ذلك(٤).

(فليس قول الحواريين المحكي بهذا اللفظ في القرآن إلا لفظاً من لغتهم يدل على التلطف والتأدب في السؤال، كما هو مناسب أهل الإيمان

---

(١) ينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. لابي محمد مكي بن ابي طالب القيسي (٣٥٥-٤٣٧هـ) تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م): ١/ ٤٢٢.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٢/ ١٢٩.

(٣) ينظر: الكشاف: ١/ ٦٥٤.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٢/ ١٢٩-١٣٠، ولباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، (د.ت.ط): ١/ ٥٠٥.

الخالص، وليس شكاً في قدرة الله تعالى، ولكنهم سألوا آية لزيادة اطمئنان قلوبهم بالإيمان، بأن ينتقلوا من الدليل العقلي إلى الدليل المحسوس فإنَّ النفوس بالمحسوس آنس)(١).

الثاني: قال السدي: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ أي: هل يطيعك ربك أن سألته، يقول الرازي: (وهذا تفريع على أن استطاع بمعنى: أطاع، والسين زائدة)(٢) فيكون معنى يطيع: يجيب، مجازاً، كما يقال: اطع الله يطيعك، أي يستجيب لدعائك، من باب المشاكلة(٣).

الثالث: قراءة الكسائي السابقة: ﴿هَلۡ تَسۡتَطِيعُ رَبَّكَ﴾ بتاء المخاطب، فلفظ (رَبَّكَ) يكون: مفعول به فيكون المعنى: هل تسأل لنا ربك، بالتعبير بالاستطاعة عن طلب الطاعة، أي: إجابة السؤال، (كما في الوجه السابق)، وقيل: المعنى على حذف مضاف تقديره: (هل تستطيع سؤال ربك؟)(٤) وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كانوا أعلم بالله من أن يقولوا: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ وإنما قالوا: (هل تستطيع أن تسأل ربك ؟)(٥).

الرابع: و (لعل المراد بالرب هو: جبريل﵇؛ لأنه كان يربيه ويخصه بأنواع الاعانة، ولذلك قال تعالى: ﴿إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾ المائدة: ١١٠، يعني: إنك تدعي أنه يربيك ويخصك بأنواع الكرامة، فهل يقدر على إنزال المائدة من السماء؟)(٦).

فإن قيل: كيف ذهب الزمخشري إلى مخالفة الجمهور ولم يوافقهم في وجه من تلك الوجوه ؟

فالجواب: لعل الزمخشري كان يرى شكهم في مبادئ الدعوة ثم آمنوا بعد ذلك، وصاروا أنصار الله ورسوله عيسى(٧).

وذكر الـــ(المائدة) في سؤالهم لا يعني أن في السماء موائد منصوبة، بل فيه دلالة أن الكون كله مائدة لله منصوبة، يأخذ منها كل إنسان على قدر عمله(٨)، والقصد من تعيينهم المائدة من السماء

---

(١) التحرير والتنوير: ٧/ ١٠٥.

(٢) مفاتيح الغيب: ١٢/ ١٢٩.

(٣) ينظر: روح المعاني: ٧/ ٥٩.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٧/ ١٠٦.

(٥) مفاتيح الغيب: ١٢/ ١٢٩.

(٦) مفاتيح الغيب: ١٢/ ١٢٩-١٣٠.

(٧) ينظر: تفسير القرآن الحكيم: ٧/ ٢٥٠.

(٨) ينظر تفسير الشعراوي للشيخ محمد متولي الشعراوي، مطبعة دار اخبار اليوم، (٦) اكتوبر: ٦/ ٣٤٦٢.

هو: أنه لا صنع للآدميين فيها ليختصوا بها عمن تقدمهم من الأمم(١).

فأجابهم روح الله عليه السلام: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ وقد ذهب أهل التفسير إلى توجيه هذا الجواب بعدة أوجه منها:

الأول: إن هذا الجواب زجر عن الشك الذي يقتضيه قولهم: ﴿ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾، على ما ذهب اليه الزمخشري(٢).

الثاني: إنه زجر عن البشاعة التي في لفظهم، وإن لم يكن فيه شك(٣).

الثالث: المعنى: (اتقوا الله في تعيين المعجزة، فإنه جرى مجرى التعنت والتحكم وهذا من العبد في حضرة الرب جرم عظيم، ولأنه ايضاً اقتراح معجزة بعد تقدم معجزات كثيرة، وهو جرم عظيم)(٤). أي: قد حصل إيمانكم فما حاجتكم إلى المعجزة (٥).

الرابع: إنه نهي عن الابتداء بالسؤال، أي: (أي اتقوا الله أن تسألوه شيئاً لم تسأله الامم من قبلكم)(٦).

الخامس: إنه عليه السلام أمرهم بتقوى الله لتصير التقوى سبباً لحصول ما طلبوه، كما في قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ الطلاق: ٢ - ٣(٧).

السادس: إنه عليه السلام أمرهم بملازمة التقوى وعدم تزلزل الإيمان، فجيء بـ(إن) المفيدة للشك في الإيمان، خشية أن يكون سؤالهم نشأ عن شك في صدق رسولهم فسألوه هذه المعجزة، وهذا الأسلوب قريب من قوله تعالى لخليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ أَوَلَمۡ تُؤۡمِن ﴾ ، أي: ألم تكن غنياً عن طلب الدليل المحسوس ؟ فالمراد بالتقوى في كلام عيسى عليه السلام ما يشمل الإيمان وفروعه(٨).

وفائدة عرض تلك الأوجه في معنى سؤال الحواريين ومعنى جواب عيسى عليه السلام هي: التوصل إلى أن سؤالهم لم يكن ناشئاً عن شك في

---

(١) ينظر: السراج المنير: ١/ ٣٣٤.

(٢) ينظر: الكشاف: ١/ ٦٥٤.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ١٩٣.

(٤) مفاتيح الغيب: ١٢/ ١٣٠.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٧/ ١٠٧.

(٦) ينظر: السراج المنير: ١/ ٣٣٤.

(٧) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٢/ ١٣٠.

(٨) ينظر: التحرير والتنوير: ٧/ ١٠٦-١٠٧.

قدرة الله سبحانه وصدق نبوة عيسى ﵇، وإن كان طلباً لطمأنينة قلوبهم.

أما سبب إقدام المفسرين على إيراد تلك الأوجه وغيرها: فالسبب في ذلك يعود إلى أن سؤال الحواريين فيه شيء من الفضاضة في اللفظ، فأخذه الزمخشري على ظاهره، وتأوَّلَ الجمهور تلك التأويلات لتبرئة الحواريين من الشك في قدرة الله تعالى وصدق رسالة نبيهم﵇، وقد ذكر لنا القرآن الكريم سؤال الحواريين بصيغتهم تلك ؛ لتتميز الأمم بعضها من بعض في معاملتها لأنبيائهم عليهم السلام، لأن الأمة المحمدية شاهدة على الأمم السابقة، يقول عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ البقرة: ١٤٣، والله اعلم.

فلما سمع الحواريون ردَّ عيسى ﵇على سؤالهم بادروا إلى توضيح الغاية منه بأنهم لم يطلبوا ذلك لإزالة شبهتهم بقدرة الله سبحانه أو في صحة نبوته ﵇ حتى ذلك بالإيمان والتقوى(١)، فقالوا: ﴿ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾، فذكروا أربع فوائد لسؤال إنزال المائدة:

الأولى: في قولهم﴿ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا ﴾ تيمناً وتبركاً بأكل طعام نزل من السماء(٢) فقد كان كان الرسول ﷺ يحسر عن ظهره عندما تمطر السماء لكون المطر حديث عهد بربه(٣).

الثانية: ﴿ وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ (أي: ونكون لك عليها من الشاهدين عند الذين لم يروها من قومنا ؛ ليؤمن كافرهم ويزداد الذين آمنوا إيماناً)(٤).

الثالثة: في قولهم ﴿ وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا ﴾ قال النسفي (أي: نعلم صدق عياناً

---

(١) ينظر: روح المعاني: ٧/ ٦٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٧/ ١٠٧.

(٣) ينظر: المستدرك على الصحيحين، للإمام محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (٣٢١-٤٠٥هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م: ٤/ ٣١٧، ق٧٧٦٨، كتاب الادب، وقال الامام الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

(٤) التحرير والتنوير: ٧/ ١٠٧.

كما علمناه استدلالاً)(١)، ليحصل لهم كلا العلمين: الضروري، والاستدلالي(٢).

الرابعة: في قولهم ﴿ وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾، (أي: ونكون لك عليها من الشاهدين عند الذين لم يروها من قومنا ؛ ليؤمن كافرهم ويزداد الذين آمنوا إيماناً)(٣).

وكأنهم أرادوا أن يتشبهوا بخليل الله إبراهيم ﵇ عندما سأل ربه رؤية كيفية إحياء الموتى(٤)، (فعذروا وأُجيبوا إليها، إذ كان مرادهم حصول اليقين وزيادة البصيرة، ويقال: كل يطلب سؤله على حسب ضرورته وحالته)(٥).

فلما رأى نبي الله عيسى ﵇ أن لهم غرضاً صحيحاً في سؤالهم ذلك، أو أنهم لا يقلعون عنه فأراد إلزامهم الحجة(٦)، دعا ربه بأسلوب يختلف عن أسلوبهم بالسؤال قائلاً: ﴿ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ المائدة: ١١٤.

و﴿ ٱللَّهُمَّ ﴾ أصله: (يا الله) فحذفت ياء النداء وعوض عنها بالميم(٧)، وقوله ﴿ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ ﴾ مشتمل على نداءين بتقدير حرف النداء في قوله: ﴿ رَبَّنَآ ﴾، وفائدة تكرار النداء هي: المبالغة في الضراعة، وقد جمع ﵇ بين النداء باسم الذات الجامع لصفات الجلال، وبين النداء بوصف الربوبية له، وللحواريين استعطافاً لله تعالى لاستجابة الدعاء(٨).

وقوله: ﴿ عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يكون يوم نزولها عيداً، والعيد: السرور العائد قيل: هو يوم الأحد، ومن ثم اتخذه النصارى عيداً(٩)، والعيد المذكور في الآية غير معروف عند النصارى ولكنهم ذكروا أن عيسى ﵇ أكل مع الحواريين على مائدة ليلة عيد الفصح، وهي الليلة التي يعتقدون أنه صلب من صباحها، وهم لا يعْرفون خبر نزول المائدة من السماء(١٠).

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/ ٥٠٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٧/ ١٠٧.

(٣) صفوة البيان لمعاني القرآن / ١٦٦.

(٤) ينظر: تفسير الشعراوي: ٦/ ٣٤٧١.

(٥) لطائف الإشارات: ٢/ ١٥٠.

(٦) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢/ ٧٨.

(٧) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/ ٥٠٥-٥٠٦.

(٨) ينظر: التحرير والتنوير ٧/ ١٠٨.

(٩) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١/ ٥٠٦.

(١٠) ينظر: التحرير والتنوير: ٧/ ١٠٨.

والآخر: ما يراه ابن عباس ﵄، من أن معنى الآية هو: أن تكون المائدة مجتمعاً، للجميع يأكل منها او لهم كما يأكل آخرهم في يوم نزولها خاصة، لا عيداً يدور(١).

واختلف المفسرون في المائدة هل أنزلت من السماء أم لم تنزل ؟ فذهب بعضهم ومنهم مجاهد(٢) مجاهد(٢) إلى أنها لم تنزل، وذلك لأمرين:

الأول: لأن القوم لما سمعوا وعيد الله بعذاب من يكفر بها، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، خافوا، فاستغفروا من طلب نزولها فلم تنزل(٣)

الثاني: وصف المائدة بأنها عيد، ولو نزلت لكانت عيداً إلى يوم القيامة، لقوله: ﴿ وَءَاخِرِنَا ﴾(٤).

وذهب جمهور المفسرين إلى أنها نزلت، وقد أوردوا لها أوصافاً عدة وأخباراً مختلفة في كيفية نزولها وما تحتويه(٥)، ولم نذكر من تلك الأخبار شيئاً، لكثرتها ولأنها تحتاج إلى تدقيق وتخريج، ونحن نميل إلى نزولها انجازاً للوعد في قوله عز وجل: ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن ﴾ المائدة: ١١٥، ولا يعين ما كان عليها من طعام ؛ لأن عدم العلم به لا يضر(٦).

ويمكننا في نهاية هذا المبحث اجراء عدة مقارنات في بعض الأمور:

---

(١) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/ ٥٠٦ والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ١٩٤.

(٢) هو: ابن جبر المخزومي، مولاهم المكي، مقرئ وامام وامام في التفسير وفي العلم، احد اعلام التابعين، ثقة حجة، ولد (٢١هـ) في خلافة سيدنا عمر ﵁، ت(١٠٤هـ) وهو ساجد بمكة وله (٨٣) سنة، وقيل توفي قبل ذلك. ينظر: تقريب التهذيب، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط٢: ٢/ ١٥٩، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط٣:١/ ١٠٦.

(٣) ينظر مفاتيح الغيب: ١٢/ ١٣٣، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ١/ ٥٠٦. والتحرير والتنوير:٧/ ١١١.

(٤) ينظر مفاتيح الغيب:١٢/ ١٣٣، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/ ٥٠٦.

(٥) ينظر الكشاف: ١/ ٦٥٥، ومفاتيح الغيب ١٢/ ١٣٣، ولباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ٥٠٦، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/ ٥٠٦.

(٦) ينظر مفاتيح الغيب: ١٢/ ١٣١.

أولاً: المقارنة بين قول الله سبحانه وتعالى لخليله إبراهيم ﵇: ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ﴾ عند سؤاله رؤية كيفية الإحياء ؛ لما في ذلك من الفائدة للمؤمنين، و قول عيسى ﵇للحواريين: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ لما فيه من الفائدة لهم وللسامعين، وذلك إشارة إلى أن الأسئلة في هذه الأمور وأمثالها ممنوعة وغير مرغوبة ما دام القلب في ايمان ويقين، فالإيمان كاف ليس به حاجة إلى بحث وتنقيب، وقد يكون النهي في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾المائدة: ١٠١، يشمل تلك الأمور، ولذلك توعد الله سبحانه من يكفر بعد نزول المائدة بالعذاب فقال: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١١٥﴾المائدة: ١١٥، والله اعلم.

ثانياً: المقارنة الواضحة بين أدب الأنبياء مع الله سبحانه، وأدب غيرهم في سؤالهم منه سبحانه، ويظهر لنا ذلك بالتأمل في أسلوب سؤال كل من خليل الله وروح الله عليهما السلام من الله عز وجل، فخليل الله ﵇سلك في سؤاله مسلك الضراعة وحسن الأدب كما مر، وكذلك الأمر بالنسبة لعيسى ﵇.

أما الحواريون فلما سألوا المائدة ذكروا لذلك أغراضاً عدة فقدموا ذكر الأكل بقولهم: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا﴾ وأخّروا الأغراض الدينية والروحانية(١)، فقدموا بشريتهم وطلبوا الأكل قبل الاطمئنان والاستدلال، وعيسى ﵇ في سؤاله من ربه قدم كلام الله بصفة الألوهية ثم الربوبية(٢) وذكر لذلك أغراضاً فقدم الأغراض الدينية وأخّر غرض الأكل، فابتدأ ﵇بذكر الحق جل جلاله﴿ٱللَّهُمَّ﴾ ثم انتقل من الذات إلى الصفات﴿رَبَّنَآ﴾ ثم أشار إلى ابتهاج الروح بالنعمة الصادرة من المنعم:﴿تَكُونُ لَنَا عِيدٗا﴾ مع كونها دليلاً لأصحاب النظر والاستدلال: ﴿وَءَايَةٗ مِّنكَۖ﴾ ثم ذكر بعد ذلك حصة النفس: ﴿وَٱرۡزُقۡنَا﴾ ولم يقف عليها بل انتقل من الرزق إلى الرزاق فقال: ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، وهذا

---

(١) ينظر م.ن: ١٢/ ١٣١.

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي: ٦/ ٣٤٦٣-٣٤٦٤ وعطاء الالوهية يختلف عن عطاء الربوبية. فعطاء الالوهية: تكليف من المعبود الى العابد وعلى العابد أن يطيع، وعطاء الربوبية هو: تربية الله سبحانه للأجسام والعقول والمواهب القلوب..الخ، فالرب هو رب المؤمن والكافر، فهو سبحانه، يتولى تربية الكافر مع انكاره الالوهية. ينظر م.ن: ٦/ ٣٤٦٣.

يشير إلى مراتب درجات الأرواح في كون بعضها روحانية وبعضها جسمانية(١).

ثالثاً: والمقارنة أيضاً بين طريقة سؤال الحواريين والطريقة التي سلكها نبيهم عليه السلام في سؤاله توصلنا إلى الفرق بين إيمان المبلغ عن الله وإيمان من تلقى البلاغ عنه، فمن تلقى البلاغ عن المبلغ فهو به حاجة إلى يقين أعمق(٢).

رابعاً: ويتضح لنا مما تقدم فرق جلي بين الأمتين أمة الرسول محمد ﷺ وأمة نبي الله عيسى عليه السلام وذلك بأمرين:

أحدهما: في نداء الحواريين لنبيهم باسمه دليل على أنهم لم يكونوا يعظمونه كتعظيم المسلمين لنبيهم ﷺ فانهم كانوا لا ينادونه باسمه وانما يقولون: (يا رسول الله، يا نبي الله). كما قد مرَّ.

والآخر: أمة عيسى عليه السلام طلبت الطمأنينة بعد معاينة المعجزات، فسألها لهم نبيهم أما الأمة المحمدية، فقد بدأهم سبحانه بإنزال السكينة عليهم من غير سؤال سبق قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ الفتح: ٤(٣).

---

(١) ينظر مفاتيح الغيب: ١٢/ ١٣١-١٣٢.

(٢) ينظر تفسير الشعراوي: ٦/ ٣٤٦١-٣٤٦٢.

(٣) ينظر لطائف الإشارات: ٢/ ١٥٠-١٥١.

المبحث الثاني
الاطمئنان بالعبادة

مدخل:

الصلاة والذكر والشكر من أنواع العبادة التي يجب المؤمن أن يلتزمها ليحيى سعيداً مطمئناً، فيغادر هذا العالم بكل سكون وهدوء، بلا خوف ولا اضطراب، والإنسان حتى في حالات خوفه واضطرابه يجب أن يلازم تلك الأمور، حتى إن كان خوفه ناشئاً من حرب عاتية ليحصل على السكون والاطمئنان.

والقرآن الكريم قد قرن الاطمئنان مع تلك الأنواع من العبادة فجاء ذكر الاطمئنان في صلاة الخوف، وفي بيان فضل ذكر الله سبحانه، وفي بيان عاقبة ترك شكر المنعم وكفران نعمته، وهذه المواضع الثلاثة هي.

١. قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣ ﴾النساء: ١٠٣

٢. قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾ الرعد: ٢٨.

٣. قوله تعالى ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢ ﴾النحل: ١١٢

ونظراً لما تقدم سيكون هذا المبحث من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاطمئنان بصلاة الخوف:

ما من شك في أن الخوف من الكوارث ذات الآثار المدمرة التي تصيب الإنسان فتؤدي إلى حصول الاضطراب النفسي لديه، ولا منجى من هذه المعضلة العظيمة إلا عن طريق التركيز في مسلك معين على المبادئ الصحيحة والقواعد الفكرية الوطيدة، والأسس السلوكية الرفيعة التي قد بينها الشرع الحكيم بالقرآن أو السنة، فإذا ما تشبث الإنسان بتلك القواعد والأصول وجد السكينة والطمأنينة في صدره(١) ومن أمثلة ذلك: صلاة الخوف. قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣ ﴾النساء: ١٠٣.

وقد يراد بقضاء الصلاة هنا أحد أمرين:

---

(١) ينظر: الطمأنينة السيكولوجية المبسطة، أنعام محمد عيسى، منشورات دار الافاق الجديدة – بيروت، ط١، ١٩٧٨م.

الأول: القضاء وهو(إتمام الشيء)(١)

والمعنى: فإذا قضيتم صلاة الخوف فواظبوا على ذكر الله في جميع أحوالكم، قياماً أو قعوداً أو على جنوبكم، فإن ما أنتم فيه من خوف العدو والحذر منه جدير بالمواظبة على ذكر الله والتضرع إليه (٢)، فالوظائف الظاهرة كالصلاة وغيرها مؤقتة بأوقات يأتي بها المرة وقتاً دون وقت، أما حضور القلب بالذكر فينبغي أن يكون مسرمداً غير منقطع كيفما اختلفت الأحوال، فالذكر كيفما كنتم وكما كنتم، أما الصلاة فاذا اطمأننتم لتأتوا بها على أتم وجه(٣).

و المطلوب من المؤمن أن لا يؤخر الصلاة عن وقتها المحدد لها، وأن يذكر الله في جميع أحواله، حتى وهو ينازل عدوه، فإذا انتهى الاشتباك فعليه أن ينتقل من ذكر الله إلى الصلاة التي حان ميقاتها في أثناء القتال، فذكر الله وقت الاشتباك كان لأجل أن لا يضيع وقت الصلاة على المؤمن بلا كرامة لهذا الوقت(٤).

الثاني: أن يكون معنى ﴿ قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾: تلبستم، والمعنى يكون: فإذا تلبستم بالصلاة في حال الخوف والقتال فصلوها ﴿قياماً﴾ في حال المسايفة والاختلاط ﴿وقعوداً﴾ جاثمين على الركب من أنين أو كنتم مرامين ﴿ وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾: أي مثخنين بالجراح ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي: فإذا اطمأننتم حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم، فاقضوا ما صليتم في أحوال القلق والانزعاج(٥). وهذا التأويل هو أحد الهيئات الست لصلاة الخوف المذكورة في صحيح مسلم(٦) إلا أن في هذا التأويل إشكالاً على ما ذهب إليه الرازي(٧).

---

(١) التحرير والتنوير: ٥/ ١٨٨.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ١١/ ٢٨.

(٣) ينظر: لطائف الاشارات: ٢/ ٥٢-٥٤.

(٤) ينظر: تفسير الشعراوي: ٥/ ٢٥٩٦-٢٥٩٧.

(٥) ينظر: الكشاف: ١/ ٥٦٠-٥٦١، والبحر المحيط للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي (ت٧٥٤هـ) دار الفكر، ط٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م: ٣/ ٣٤٢.

(٦) ينظر صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج (٢٠٦-٢٦١هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي – بيروت (د.ت): ١/ ٥٧٤-٥٧٦ ق ٨٣٩-٨٤٣، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف.

(٧) هو: محمد بن عمر بن الحسين القريشي البكري التميمي، فخر الدين ابو عبدالله، من ذرية أبي بكر الصديق ﷺ، المفسر المتكلم، أحد الائمة، ولد (٥٤٤هـ) صاحب المصنفات المشهورة، منها (التفسير الكبير) ت(٦٠٦هـ) في يوم عيد الفطر، ينظر طبقات المفسرين: ٢/ ٢١٥-٢١٨، والاعلام: ٧/ ٢٠٣.

فقال (أن يصير تقدير الآية: فاذا قضيتم الصلاة فصلوا، وذلك بعيد ؛ لأن حمل لفظ (الذكر) على الصلاة مجاز فلا يصار إليه إلا لضرورة)⁽١⁾.

وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾مسبوق بحكمين:

أحدهما: بيان القصر، أي صلاة السفر وذلك في قوله عز وجل ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ..﴾النساء: ١٠١.

والآخر: صلاة الخوف، في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ النساء: ١٠٢.

فالاطمئنان في قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ يحتمل أن يراد به معنيان، هما نقيض الحكمين السابقين⁽٢⁾

المعنى الأول: يحتمل أن يراد بالاطمئنان هنا: (القفول عن الغزو ؛ لأن في الرجوع إلى الأوطان سكوناً من قلاقل السفر واضطراب البدن، فإطلاق الاطمئنان عليه يشبه أن يكون حقيقة)⁽٣⁾. فالمراد هو: أن لا يبقى الإنسان مسافراً بل يصير مقيماً، فيكون المعنى على هذا التقدير: فإذا صرتم مقيمين الصلاة تامة من غير قصر⁽٤⁾.

المعنى الثاني: ويحتمل أيضاً أن يراد من الاطمئنان هنا: أن لا يبقى الإنسان مضطرب القلب، بل ساكن القلب والنفس بسبب ذهاب الخوف، وعلى هذا التقدير يكون المعنى: فإذا زال الخوف عنكم فأقيموا الصلاة على الحالة التي كنتم تعرفونها، ولا تغيروا شيئاً من أحوالها وهيئاتها⁽٥⁾، ومن المفسرين من ذهب إلى تضعيف هذا الاحتمال، إذ ليس المراد بالاطمئنان هنا: عدم الخوف لعدم مناسبته الآية⁽٦⁾.

ثم ختم عز وجل الآية بقوله﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا﴾ وقد سيق مساق التعليل ؛ للحرص على اداء الصلاة في اوقاتها⁽٧⁾، والكتاب: (الفرض والحكم والقدر)⁽٨⁾، والقدر)⁽٨⁾، والموقوت: (المحدد بأوقات)⁽١⁾، يقال:

---

(١) مفاتيح الغيب: ١١/ ٢٨.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ١١/ ٢٨.

(٣) التحرير والتنوير: ٥/ ١٨٨-١٨٩.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: ١١/ ٢٨.

(٥) ينظر: م.ن: ١١/ ٢٨.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٥/ ١٨٩.

(٧) ينظر: م.ن: ٥/ ١٨٩.

(٨) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١/ ٢٠٨ مادة (كتب).

يقال: وقته فهو موقوت: إذا تبين للفعل وقت خاص يفعل فيه(٢) أي: (منجماً كلما مضى نجم جاء نجم، بمعنى كلما مضى وقت جاء وقت)(٣) وقد يستعمل لفظ (الموقوت) بمعنى: المفروض مجازاً، إلا أن المعنى الأول أظهر هنا(٤).

المطلب الثاني: الاطمئنان بذكر الله تعالى:

يقرر علماء النفس أن الانتساب والانتماء إلى جهة معينة من المجتمع هو الأسلوب الصحيح لحل مشاكل الفرد، أو لتحقيق التوازن في شخصيته الذي يفقده عند العزلة فتصحبه الوحشة والفرغ والضجر....، أما ديننا الحنيف فقد خصص أموراً عدة لحماية شخصية الإنسان تحت عنوان (الانتماء إلى الله تعالى) وذلك يتحقق بتمحض السلوك البشري بأكمله لله وحده، ومن ذلك: أن يجعل المرء علاقته بالآخرين من أجل الله سبحانه لا لأجل حظوظ النفس(٥). وليس كل فرد يمكنه الانتماء والاعتماد على أفراد مجتمعه، ولا سيما إذا كان المجتمع منهاراً، فمن كان محاطاً بمجتمع منهار، وهو بعيد عن دائرة الانتماء لله سبحانه فقد دفع بنفسه إلى هاوية الهلاك.

والنصوص الشرعية متضافرة في تأكيدها على أن إدامة الصلة مع الله سبحانه من خلال الذكر والمناجاة يحقق للفرد متعة لا يتذوق حلاوتها إلا من خبر ذلك، بل قد يصل إلى الاستيحاش من الناس بقدر تواصله مع الله جل جلاله(٦)، ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾ الرعد: ٢٨.

فهم قوم اطمأنت قلوبهم بذكر الله، ففي الذكر وجدوا سلوتهم، وبه وصلوا إلى صفوتهم، فذكرهم الله سبحانه بلطفه واثبت الطمأنينة في قلوبهم تخصيصاً لهم، فإذا ذكروا أن الله ذكرهم استروحت قلوبهم واستبشرت أرواحهم لما نالت بذكره من الحياة، وإذا كان العبد لا يطمئن بذكر مولاه فذاك لخلل في قلبه، فليس قلبه بين القلوب الصحيحة(٧).

---

(١) التحرير والتنوير ٥/ ١٨٩

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١/ ٢٧٠ مادة (وقت).

(٣) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٥٥٠.

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٥/ ١٨٩.

(٥) ينظر دراسات في علم النفس الإسلامي، د. محمود البستاني، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار البلاغة – بيروت: ١/ ٢٠٠٠-٢٠٠٢.

(٦) ينظر م.ن ١/ ٢٠٠٤.

(٧) ينظر: لطائف الاشارات: ٣/ ٢٢٩-٢٣٠.

و قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ هنا تعد بدلاً من (أنابَ) في قوله سبحانه ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴾ الرعد: ٢٧ وهي بدل كل من كل، فالله سبحانه يهدي إليه الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكره(١).

الثاني: أن يكون الكلام تاماً عن قوله (منْ أنابَ) و (الذينَ أمنُوا) استئناف اعتراضي مناسبته المضادة لحال الذين أضلهم الله عندما اعترضوا وقال: ﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ الرعد: ٢٧، لأن قولهم هذا يتضمن أنهم لم يعدوا القرآن الكريم آية من الله سبحانه، فجاء بيان حال الذين هداهم الله سبحانه، مع التنبيه على أن مثال الذين ضلوا هو عدم اطمئنان قلوبهم لذكر الله، وهو القرآن (٢)

ومعنى: ﴿ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم ﴾ (تستقر وتسكن)(٣)، ويجوز أن يستعار الاطمئنان هنا لليقين وعدم الشك(٤).

ومعنى: ﴿ بِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ هنا يحتمل عدة وجوه:

الأول: المراد بالذكر هنا (القرآن)(٥) هذا لأن لأن (الذكر) من أسماء القرآن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ ﴾ الزخرف: ٤٤، فيجوز أن يراد بالذكر هنا: القرآن وهو المناسب لقول الكفار: ﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ الرعد: ٢٧ لأنهم لم يكتفوا بالقرآن آية على صدق الرسول ﷺ(٦).

الثاني: أن يراد بـــ (الذكر): خشية الله ومراقبته عند أمره ونهيه.

الثالث: أن يراد به: ذكر الله باللسان؛ لأن اجراءه على اللسان ينبه القلوب إلى مراقبته سبحانه(٧).

ويمكن الجمع بين الأقوال المتقدمة إذ لا تعارض بينها، فإذا ما قرأ المؤمن القرآن بتدبر فقد ذكر الله بلسانه وحصلت عنده الخشية بالوقوف عن أمره ونهيه والله اعلم وما تقدم يعد وصفاً لحسن حال المؤمنين مقايسة بسوء حال الكافرين الذين غمر الشك قلوبهم.

واختير المضارع ﴿ وَتَطۡمَئِنُّ ﴾ مرتين للدلالة على تجدد الاطمئنان لدى المؤمنين

---

(١) ينظر: روح المعاني: ١٣/ ١٤٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١٤/ ١٣٧.

(٣) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣/ ٦١.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ١٤/ ١٣٧.

(٥) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣/ ٦١.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير ١٤/ ١٣٧.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤/ ١٣٧-١٣٨.

الذاكرين واستمراره، وأنه لا يتخلله شك ولا تردد.

وافتتحت جملة ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ بحرف التنبيه(ألا)، اهتماماً بمضمونها وتعميم لفظ ﴿ٱلۡقُلُوبُ﴾ فيه إشارة للسامعين على أن يتسموا بسمة المؤمنين المتدبرين الذاكرين لتطمئن قلوبهم، فكأنه قيل لهم: إذا علمتم راحة بال المؤمنين، فماذا يمنعكم بأن تكونوا مثلهم فإن الأمر بمتناولكم(١).

وهنا سؤال يطرأ، وهو: إن الله سبحانه وصف المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ...﴾ الأنفال: ٢، والوجل ضد الاطمئنان، فكيف وصفوا هنا باطمئنان قلوبهم بذكر الله جل جلاله ؟

ويجاب عن ذلك بثلاثة أوجه:

الأول: أن المؤمنين إذا ذكروا العقوبات المترتبة على المعاصي ولم يأمنوا على أنفسهم من أن يقدموا عليها، يأتي وصفهم بالوجل، وإنما ذكروا وعد الله بالثواب والرحمة، سكنت قلوبهم واطمأنت إلى ذلك، فلا ينافي أحدهما ؛ لأن الوجل يأتي عند ذكر العقاب والطمأنينة عند ذكر الثواب.

الثاني: أن علم المؤمنين بكون القرآن معجزاً يوجب حصول الطمأنينة لهم في مصداقية نبوة الرسول ﷺ، أما شكهم في أنهم أتوا بالطاعات على سبيل التمام والكمال، فيوجب حصول الوجل في قلوبهم.

الثالث: أن الطمأنينة حصلت في قلوب المؤمنين في أن الله سبحانه صادق في وعده ووعيده، وأن الرسول ﷺ صادق في كل ما أخبر عنه، إلا أنه حصل الوجل والخوف في قلوبهم في أنهم: هل أتوا بالطاعة الموجبة للثواب أو لا ؟ وهل احترزوا عن المعصية الموجبة للعقاب أو لا؟(٢).

ويجوز أن يكون قلب المؤمن مطمئناً أو وجلاً بجميع الأوجه، إذ لا مانع من اجتماعها في آن واحد لدى شخص واحد، فالمؤمن الحق مطمئن دائماً بوعد الله في الوقت نفسه وجل من إقدامه على المعاصي بسبب شكه، هل أنه احتراز المعصية الموجبة للعقاب أو لا؟ أو بسبب شكه بالطاعات التي أتى بها، أأتى بالطاعة على وجه التمام والكمال التي توجب له الثواب أم لا ؟ فالمؤمن إذا ذكر الله سبحانه متذكراً كل تلك الأمور حصل في قلبه الطمأنينة تارة والوجل تارة

---

(١) ينظر: م.ن: ١٤/ ١٣٨.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ١٩/ ٤٩.

أخرى، وكلاهما محمود وكلاهما من صفات المؤمنين كما مر، والله اعلم.

أسباب الاطمئنان بذكر الله سبحانه

أورد كل من الإمامين الرازي و الآلوسي(١) أوجهاً دقيقة في أسباب الاطمئنان بذكر الله عز وجل، وسنورد أولى ما قيل فيها:

أولاً: أن الموجودات الروحانية تؤثر تارة وتتأثر تارة أخرى، فإذا توجهت إلى الحضرة الإلهية صارت قابلة للآثار الفائضة عليها، وإذا توجهت إلى العالم الجسماني اشتاقت إلى التصرف فيه، فالقلب كلما توجه إلى مطالعة عالم الأجسام حصل فيه الاضطراب والقلق والميل الشديد إلى الاستيلاء عليها والتصرف فيها، أما إذا توجه القلب إلى الحضرة الإلهية، فقد حلت فيه الأنوار الصمدية، فهناك يكون ساكناً مطمئناً.

ثانياً: إن القلب كلما وصل إلى شيء من السعادة فإنه يطلب الانتقال منه إلى حالة أخرى أعلى وأرقى ؛ لأنه لا يوجد في عالم الاجسام سعادة إلا وهناك مرتبة أخرى أعلى منها، أما إذا ما أنتهى القلب إلى نيل السعادة بالمعارف الالهية والأنوار الصمدية، بقي واستقر، فلا يقدر على الانتقال مطلقاً ؛ لأنه ليس هناك درجة أخرى في السعادة أعلى منها وأكمل فعندها يستقر القلب ويسكن(٢).

ويرى الإمام الآلوسي أن أولى ما يقال في سبب طمأنينة القلب بذكر الله هو: أنه نور يُفِيضُهُ الله سبحانه في قلوب المؤمنين بسبب ذكره، فيذهب ما فيها من الوحشة والقلق ونحو ذلك(٣).

المطلب الثالث: علاقة الاطمئنان بالشكر على النعم:

ما من شك في أن الشكر نوع من أنواع العبادة، فقد قرنه الله سبحانه بالذكر بقوله:﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ البقرة: ١٥٢، وأمر الله سبحانه به حبيبه ﷺ: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾

---

(١) هو: أبو الثناء شهاب الدين، السيد محمود افندي الالوسي البغدادي، كان شيخ العلماء في العراق، من نوادر الايام عالم في المنقول والمعقول، فهامة الفروع و الاصول، كان مفسراً للقرآن لا يجارى، اشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن (١٣) سنة، ولد (١٢١٧هـ) ت (١٢٧٠هـ) يوم الجمعة من ذي القعدة، ودفن مع اهله في مقبرة الشيخ معروف الكرخي، ينظر التفسير والمفسرون: ١/ ٣٥١-٣٥٣، والإمام أبو الثناء الالوسي، د.محسن عبد الحميد، دار الكتب والوثائق، بغداد،ط١، ١٩٩٢م. / ٢١-٣٦.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ١٩/ ٤٩-٥٠، وروح المعاني: ١٣/ ١٥٠.

(٣) ينظر: روح المعاني: ١٣/ ١٥٠.

الزمر: ٦٦، ومدح به عبده نوحاً عليه السلام فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ الإسراء: ٣، ومدح به ايضاً خليله إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ النحل: ١٢١ وبعد كل ذلك الفضل يخبرنا عز وجل أن أكثر الناس لا يؤدون الشكر لله على أفضاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ البقرة: ٢٤٣، وبالتالي فإن من يقوم بشكر المنعم على نعمه هم عباد قليلون، يقول سبحانه ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ سبأ: ١٣، فوعد الله الشاكرين بالزيادة، وتوعد من كفر بالعذاب الشديد فقال سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ إبراهيم: ٧، فكفران النعم ذنب عظيم يستحق صاحبه العذاب الشديد، لذلك ضرب لنا مثلاً أهل قرية أُعطوا أنواع النعم مثل الأمن والاطمئنان وسعة الرزق، فكفروا بهذه النعم ولم يشكروا المنعم، فكانت عاقبتهم وخيمة.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ النحل: ١١٢.

لما هدد الله تعالى الكفار بالوعيد الشديد في الاخرة في قوله: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ النحل: ١١١، أعقب ذلك بتهديدهم ايضاً بآفات الدنيا وهي: الوقوع بالجوع والخوف(١).

﴿وَضَرَبَ﴾ بمعنى: جعل، والتعبير عن ضرب المثل الواقع في حال نزول الآية بصيغة المضيِّ؛ للتشويق الى الاصغاء اليه.

ويجوز أن يكون الفعل (ضَرَبَ) مستعملاً في معنى الطلب والأمر، فيكون الخطاب في الآية للنبي ﷺ، أي: اضرب لقومك مثلاً قرية...الخ(٢).

والمثل قد يضرب بشيء موصوف بصفة معينة سواء أكان ذلك الشيء موجوداً أم لم يكن موجوداً، فهذه القرية التي ضرب الله بها هذا المثل يحتمل أن تكون قرية معينة أو مفروضة، فإن كانت معينة فيحتمل أن تكون القرية مكة أو غيرها، والأقرب أنها غير مكة، لأنها ضربت مثلاً

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٠/ ١٢٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤/ ٣٠٤.

لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها(١)، (وجعل المثل (قرية) موصوفة بصفات تبين حالها المقصود من التمثيل، فاستغنى عن تعيين القرية)(٢). والمراد بالقرية: أهلها، إذ هم المقصودون منها، ويدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَصۡنَعُونَ ﴾ ولم يقل: بما صنعت(٣).

ويقول الزمخشري: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرۡيَةً وَهُمۡ.. ﴾ أي: جعل القرية التي هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم عليهم، فأبطرتهم النعمة، فكفروا وتولوا، فأنزل الله فيهم نقمته)(٤).

ومعنى الاطمئنان هنا: الاستقرار، أي: أن أهل القرية مستقرون لا يحتاجون إلى الرحيل بين الحين والحين، كما كان سكان البوادي(٥)، وسبب تقديم الأمن على الطمأنينة هو: أن الطمأنينة لا تحصل بدون الأمن(٦) وبما أن معنى الطمأنينة هنا الاستقرار فالنتيجة تقول: إذا فقد الامن فقد الاستقرار، والله اعلم.

ويقال: (ثلاثة ليس لها نهاية، الأمن والصحة والكفاية) وقد حاز أهل تلك القرية على هذه النعم الجليلة، وذلك لأن الله سبحانه وصف تلك القرية بالأمن، ثم بالاطمئنان أي: الاستقرار، وفي هذه إشارة إلى أن هواء ذلك البلد لاعتداله كان ملائما لأمزجة أهله، فوجدت عندهم الصحة، فاستقروا لوجودها، ولم ينتقلوا لطلبها، هذا بالنسبة للأمن والصحة، أما بالنسبة للكفاية فقوله سبحانه: ﴿ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ ﴾ يدل على حصولهم الكفاية من الرزق بأيسر وجه(٧).

و﴿ بِأَنۡعُمِ ﴾: جمع قلة، فالمعنى: إن أهل تلك القرية قد كفروا بأنواع قليلة من النعم والواقع أنهم كفروا بنعم عظيمة لله سبحانه فوجب بحقهم العذاب، فالتعبير بجمع القلة ؛ للتنبيه بالأدنى على الأعلى، فيكون المعنى أن كفران النعم القليلة لما أوجب العذاب، فكفران النعم الكثيرة من باب أولى(٨).

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٠/ ١٢٧.

(٢) التحرير والتنوير: ١٤/ ٣٠٤.

(٣) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣/ ١٣٩، والتحرير والتنوير:١٤/ ٣٠٥.

(٤) الكشاف: ٢/ ٤٣١.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٧/ ٣٠٩.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤/ ٣٠٥.

(٧) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للإمام النيسابوري، دار المعرفة – بيروت، ط٢، د ت: ١٤/ ١٢٦.

(٨) ينظر مفاتيح الغيب: ٢٠/ ١٢٨.

وفي جملة: ﴿ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ ﴾: استعارة ؛ لأن حقيقة الذوق إنما يكون فيما يؤكل ويشرب، لا في الكساء والملابس، فقد خرج الكلام هنا مخرج الخبر عن العقاب النازل بهم، والبلاء الشامل لهم، وكما هو معروف على لسان العرب أن يقولوا لمن عوقب على جريمة أو أخذ بجريرة فعل: ذق، وإن كانت عقوبته ليست من جنس ما يدرك بالطعم والذوق فكأنه سبحانه لما شملهم بالجوع والخوف على وجه العقوبة أوجدهم مرارته كما يجد الذائق مرارة الشيء المرير ورخامة الطعم الكريه، ثم انه جل ذكره قال: ﴿ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ ﴾ لم يقل: طعم الجوع والخوف ؛ لأن المراد بذلك – والله اعلم –: وصف تلك الحالة بالاشتمال عليهم كاشتمال الملابس على جلودهم (١)، فسمي ذلك لباساً ؛ لما يظهر به من الهزال وشحوبة اللون وسوء الأحوال ما هو اللباس من ناحية الشمول والإحاطة، فاستعير له اسمه (اللباس) وأوقع عليه (الإذَاقَة)، ثم استعير لمطلق الاتصال مع الإنباء بشدة الاصابة ؛ لما في ذلك من اجتماع الإدراكين: اللمس والذوق(٢).

وأجمل الكلام في قوله ﴿ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ اعتماداً على التبيين السابق في جملة: ﴿ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ ﴾(٣)، وفي اختيار صيغة الصنعة (يَصْنَعُونَ) دون (يفعلون أو يعملون) للإشارة إلى أن الكفران صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة(٤).

والآية تدل على أن كفران النعم يؤدي إلى فقدانها، بدليل ذكر﴿ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ ﴾، فالجوع ناشئ من فقدان الرزق، والخوف ناشئ من زوال الأمن، وقدم الجوع على الخوف لمناسبته الإذاقة، فقابل الجوع والرزق، وقابل الخوف الأمن، ولم يقابل الاطمئنان شيء، مما يشير إلى أن الأمن والاطمئنان هنا: كالشيء الواحد(٥)، وقد ذكرنا أن الاطمئنان لا يمكن أن يحصل بدون أمن، فهما في هذه الحالة كالشيء الواحد.

---

(١) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي، تحقيق د. علي محمود مقلد، مكتبة الحياة – بيروت، ١٩٨٦، ١٤٧.

(٢) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من من علم التفسير، للشيخ محمد الشوكاني، دار الفكر ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م: ٣/ ٢٠٠.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤/ ٣٠٧.

(٤) ينظر: روح المعاني:١٤/ ٢٤٤.

(٥) ينظر: م.ن: ١٤/ ٢٤٣–٢٤٤.

فالاطمئنان في الآية يشير إلى نعمة الصحة – كما مر – والصحة يقابلها السقم أو نحو ذلك، ولم يصرح به لدلالة (الجُوْع والخوْف) عليه فاكتفى بذكرهما عن ذكر ما يقابلها (الصحة) لما في هاتين المصيبتين من أثر كبير في تدهور صحة الانسان كما هو معلوم. والله اعلم.

وفي آخر هذا المبحث نود أن ننبه إلى أن الاطمئنان في المطالب الثلاثة كان من علامات سعادة العبد في دينه وأخراه، فإذا ما وجد العبد الطمأنينة في ذكره وعبادته لله عز وجل، فقد حاز السعادة في دينه، وبالتالي فقد نال سعادة الأخرة وإن وجد الأمن والاطمئنان في الدنيا فقد حصل على سعادة الدنيا.

ومن الجدير بالذكر أن نقول هنا: لما كان الاطمئنان عطية من عند الله سبحانه كان نعمة للعباد، وفي مطلب لاحق سنجد أن الاطمئنان إذا ما كان سجية من العبد فسيكون نقمة عليه.

المبحث الثالث

الاطمئنان بالملائكة

مدخل:

الملائكة خلق من خلق الله العجيب ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ التحريم:٦، ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٠.

وفي هذا المبحث سأتناول ذكر الملائكة من خلال جانبين، على حسب ما ورد ذكرهم في آيات الاطمئنان، إذ اختص ذكرهم هنا بجانبين مختلفين:

الجانب الأول: كون الملائكة جنداً من جنود الله، يبشر الله سبحانه بهم المؤمنين، ويطمئن قلوبهم بنصره العزيز.

الجانب الثاني: هو جانب الرد على اقتراحات المشركين تجاه الملائكة، واقتراحاتهم تلك تتلخص في أمرين:

أحدهما: أن ينزل الله على رسوله ملكاً في صورته الأصلية، بحيث يعاينوه، كما ذكر القرآن إخباراً عنهم: ﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ٧.

والآخر: أن ينزل عليهم مكان الرسول البشر، ملكاً مرسلاً، كما قال سبحانه حكاية

عنهم: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ ﴾ المؤمنون: ٢٤. فكان الجواب: قوله سبحانه ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا ﴾ الأنعام: ٩، أي: لو جعلنا الرسول الذي اقترحتم ملكاً لَمَثَّلنا ذلك الملك بصورة رجل ؛ لعدم استطاعتكم معاينة الملك على هيكله الأصلي(١). وفي هذا المبحث سنعرض آيتين فيهما كلا الأمرين: اقتراح المشركين تجاه الملائكة، والجواب القاطع له، في نفس الوقت، لكشف هذه الشبهة، ولإيقاف اقتراحات المشركين، وآيات هذا المبحث موضحة كالآتي:

١ـ قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ (١٢٦) ﴾ آل عمران: ١٢٦.

٢ـ قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) ﴾ الأنفال: ١٠

٣ـ قوله تعالى ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا (٩٥) ﴾ الإسراء: ٩٥

وبناءً على ما تقدم سيتكون هذا المبحث من مطلبين:

المطلب الأول: الملائكة تطمئن قلوب المؤمنين وتبشرهم بالنصر:

أجرى الله سبحانه وتعالى سننه مع أوليائه أنه إذا ضعفت نياتهم، أو تناقصت إراداتهم، أو أشرفت قلوبهم على بعض فترة: أراهم من الألطاف وفنون الكرامات ما يقوي به أسباب عرفانهم(٢)

ومن ذلك أنه سبحانه بَشَّر المؤمنين بالإمداد بالملائكة، ثم رقاهم عن هذه الحالة بإعلامهم أن انجاز النصر كان من خالق الملائكة، كي لا يسكنوا إلى إمداد الملائكة، فقال جل ذكره: ﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾(٣).

ففي سورة ال عمران يقول الحق سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (١٢٣) إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ

---

(١) ينظر: روح المعاني: ٧/ ٩٨-٩٩.

(٢) ينظر: لطائف الاشارات: ١/ ٢٨٧.

(٣) ينظر: م.ن: ١/ ٢٨٧، وصفوة التفاسير ١/ ٢٠٨.

﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾ آل عمران: ١٢٣ – ١٢٦.

الخطاب في قوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ﴾: (للنبي ﷺ والمسلمين)(١) (ووجه الخطاب نحو المؤمنين، تشريفاً لهم وإيذاناً بأنهم هم المحتاجون لما ذكر)(٢).

والضمير ﴿جَعَلَهُ﴾ عائد إلى الامداد المستفاد من (يُمْدِدكُمْ) أو إلى الوعد بالإمداد المستفاد من قوله: ﴿إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ والاستثناء: مفرغ، و﴿بُشۡرَىٰ﴾: مفعول ثان لـ ﴿جَعَلَهُ﴾، غير ذلك، والبشرى هي: خبر بحصول مافيه نفع ومسرة للمخبر به، وعطف الاطمئنان ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ﴾ على ﴿بُشۡرَىٰ﴾، وقد صرح به مع ظهور أن البشرى لهم لا لغيرهم للدلالة على تكرمة الله تعالى اياهم، بأن بشرهم بشرى لأجلهم، فإن الله سبحانه لما وعدهم بالنصر، أيقنوا به، فبين لهم سببه وهو: الإمداد بالملائكة طمأنة لنفوسهم(٣).

فكان لعطف الفعل (تَطْمِئنّ) على الاسم (بُشْرَى) فائدتان:

الأولى: إدخال السرور في قلوب المؤمنين، وهو المراد بقوله: ﴿بُشۡرَىٰ لَكُمۡ﴾.

الثانية: حصول الطمأنينة لهم بإعانة الله ونصرته معهم، فلا يجبنوا عن المحاربة فقد وقع التفريق بين العبارتين (البُشْرَى و الاطمِئنْان) للتنبيه على حصول التفاوت بين هذين الأمرين في المطلوبية، فكون الإمداد (بُشْرَى): مطلوب لكن المطلوب الأقوى هو: حصول الطمأنينة لهم، ولذلك أدخل حرف التعليل على فعل الطمأنينة، فقال سبحانه: ﴿إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ﴾ولم يقل: واطمئناناً(٤).

و(الطمأنة والطمأنينة: السكون وعدم الاضطراب، واستعيرت هنا: ليقين النفس بحصول الامر، تشبيهاً للعلم الثابت بثبات النفس أي: عدم اضطرابها)(٥).

وفائدة قوله سبحانه ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾: هي: أن يكون توكلهم على الله وحده، لا على الملائكة، وفي ذلك تنبيه على أن إيمان العبد لا يكمل إلا عند الإعراض عن الأسباب، والإقبال بشكل كلي على مسبب الأسباب(٦).

---

(١) التحرير والتنوير: ٤/ ٧٧.

(٢) روح المعاني: ٤/ ٦٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٤/ ٧٧-٧٨.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: ٤/ ٧٧-٧٨.

(٥) التحرير والتنوير: ٤/ ٧٨.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: ٨/ ٢١٦.

كما أن اجراء وصفي: ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ هنا: لأنهما أولى بالذكر في هذا المقام، لأن العزيز ينصر من يريد نصره، والحكيم: يعلم من يستحق نصره وكيف يُعطاه(١).

وقد ورد في سورة الأنفال نظير ما جاء في آل عمران وهو قوله سبحانه﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال: ٩ – ١٠.

فجملة: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ ﴾ عطف على جملة ﴿ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾والضمير المنصوب في (جَعَلَهُ) عائد إلى القول الذي تضمنه ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُمۡ ﴾ أي: ما جعل جوابكم بهذا الكلام إلا ليبشركم.

وكان كافياً أن يضمن الله سبحانه لعباده النصر دون أن يبين أنه بإمدادٍ من الملائكة وفائدة التبشير بإمداد الملائكة هي: أن يوم بدر كان أول يوم لقي فيه المسلمون عدواً قوياً وجيشاً كبيراً، فبشرهم الله بكيفية النصر الذي قد ضمنه لهم بأن ذلك سيكون بجيش من الملائكة ؛ لأن النفوس تميل الى المحسوسات(٢).

وتقدم الكلام في نظير هذه الآية المذكور في سورة آل عمران، وبقي أن نذكر ما بين الآيتين من اختلاف في ترتيب النظم، ويتلخص ذلك في ثلاثة مواضع:

الأول: قوله سبحانه في (آل عمران): ﴿إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ ﴾ وفي (الأنفال): ﴿ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ ﴾ فحذفت هنا دفعاً لتكرير اللفظ ؛ لأن كلمة (لَكُم) وردت في الآية التي قبلها في قوله سبحانه: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾الأنفال: ٩، فعلم السامع أن البشرى للمؤمنين ؛ لأن (لَكُم) الاولى أغنت بلفظها ومعناها عن ذكرها ثانية، وليس ذلك في (آل عمران)، ولأن الآية في (آل عمران) سيقت مساق الامتنان والتذكير بنعمة النصر في حين قلتهم وضعفهم، فتقييد البشرى هاهنا بأنها لأجلهم زيادة في اظهار المنة(٣).

والكلام في الموطنين يختص بمعركة بدر، غير أن الموقف مختلف: ففي (آل عمران) جاء ذكر معركة بدر تمهيداً لذكر موقعة أحد وما

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٤/ ٧٨.

(٢) ينظر: م.ن: ٩/ ٢٧٦.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٩/ ٢٧٦.

أصاب المؤمنين فيها من حزن، فالمقام فيها مقام مسح على القلوب، ولم يكن المقام في (الأنفال) كذلك لأنه ذكر فيه موقعة بدر وانتصار المؤمنين ودور الإمداد السماوي في ذلك، فقال سبحانه في (آل عمران) ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ ﴾ زيادة في المواساة والمسح على القلوب(١).

الثاني: تقديم القلوب على الجار والمجرور في (آل عمران)﴿ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾، وتأخيرها في (الأنفال): ﴿ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ ﴾: بما أن المقام في (آل عمران) مقام مواساة ومسح على القلوب وطمأنة لها، تمهيداً لذكر موقعة أحد وما أصاب المؤمنين فيها من حزن وألم فقد ذكر أن البشرى (لَهُم)، وقدم (قُلُوبُكُم) على الجار والمجرور (بِهِ) على (القلوب) فجعل كُلاً في مقامه(٢).

الثالث: صاغ سبحانه الصفتين العليتين ﴿ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ بصيغة النعت في (آل عمران)، وفي (الأنفال) جعلها على صيغة ثان مستأنف ؛ لأن القصد هو: إعلام المخاطبين أن النصر ليس من قبل الملائكة، ولا من جهة العدد والقوة، وبين ذلك بلفظ جعله كالعلة لكون النصر بيده سبحانه، وبما أن الكلام في (آل عمران) جاء تمهيداً لذكر معركة أحد، اقتصر فيه على الصفتين العليتين بصيغة النعت ؛ لاختصار المعنى المبسط اعتماداً على ما قد فصل في (الأنفال)(٣).

هل قاتلت الملائكة مع المؤمنين ؟ فيه قولان:

الأول: أنهم لم يقاتلوا، لأن قصارى أمرهم ما ذكر من بشارة المؤمنين وتطمين قلوبهم وتثبيتهم.

الثاني: أنهم قاتلوا بتمكين الله لهم، على أن قتالهم لا يستدعي النصر، لأن النصر منه وحده سبحانه(٤).

والذي يعنينا هنا: هو أن الطمأنينة حصلت لدى المؤمنين بالإمداد بالملائكة سواء أقاتلوا مع المؤمنين أم لم يقاتلوا، إذ أن الطمأنينة حاصلة بعدم قتالهم، محصولها عند قتالهم من باب أولى.

---

(١) بنظر: التعبير القرآني، تأليف د. فاضل صالح السامرائي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، ١٩٨٦-١٩٨٧م، / ٦٧-٦٨.

(٢) ينظر: التعبير القرآني، ٦٧-٦٨.

(٣) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، للخطيب الاسكافي، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م/ ٧٢.

(٤) ينظر: روح المعاني: ٤/ ٤٧.

المطلب الثاني: اطمئنان الملائكة في الأرض:

اقتضت حكمة الله سبحانه أن لا يرسل إلى قوم رسولاً إلا أن يكون من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبتهم والفهم عنه(١).

فكل يميل إلى جنسه، ويأنس إلى شكله، فلو كان سكان الأرض من الملائكة لكانت الرسل المرسلة إليهم من الملائكة أيضاً، إلا أن الناس الذين أُرسلت اليهم الرسل تعجبوا من ذلك مع عدم وجود شبهة، والذي حملهم على ذلك فرط جهلهم(٢).

وقد ساق لنا القرآن الكريم أنموذجاً من اقتراحات المشركين على الرسول ﷺ الدالة على العناد فأخبرنا حكاية عنهم: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا (٩٣) ﴾ الإسراء: ٩٠ – ٩٣.

فبعد أن بين سبحانه أشكال عناد الكفار ومظاهر تكذيبهم، أعقب ذلك ببيان العلة الأصلية التي دفعت جميع الأمم إلى جحود رسالة أنبيائهم، وهي: توهمهم استحالة أن يبعث الله سبحانه إلى الناس بشراً مثلهم يبلغهم رسالة ربهم، فقال عز وجل: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ الإسراء: ٩٤، وهذا التوهم هو الذي يثير عندهم باقي المعاذير، وقد كان هذا التوهم أصل معتقدهم، فلا يرجى منهم أن يؤمنوا ولو جاءتهم كل آية، وما كان قصدهم في طلب مختلف تلك الاقتراحات الباطلة إلا إرضاء أوهامهم بالتنصل من الدخول في الدين، فلو أتاهم الرسول بما سألوه لقالوا: هذا سحر، أو قلوبنا غلف... أو نحو ذلك(٣).

وذهب النسفي إلى أن المراد بـــ(الناس) هنا: (أهل مكة)(٤)، والظاهر هو: حمل التعريف في (الناس) على الاستغراق، أي: ما منع جميع الناس أن يؤمنوا بأنبيائهم إلا ذلك التوهم

---

(١) ينظر: صفوة التفاسير: ٢/ ١٦٣.

(٢) ينظر: لطائف الاشارات: ٤/ ٤١-٤٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ١٥/ ٢١٠-٢١١.

(٤) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣/ ١٨١.

الباطل؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد حكى مثل ذلك عن كل أمة كذبت رسولها، فأخبرنا عن قوم نوح عليه السلام أنهم قالوا ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴾ المؤمنون: ٣٣، وقال قوم صالح عليه السلام: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾ الشعراء: ١٥٤، وحكى سبحانه عن قوم فرعون: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا ﴾ المؤمنون: ٤٧، وأخبر عن قوم الرسول ﷺ: ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴾ ق:٢(١).

و﴿ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ ﴾ فاعل للفعل (مَنَعَ) أي: إلا قولهم، والمانع هو الاعتقاد الشامل لهذا القول، وعبر عنه بالقول إشارة إلى أنه مجرد قول يقولونه بأفواههم، من غير أن يكون له مفهوم ومصداق عندهم(٢).

وبما أن العموم في الآية شمل كفار قريش، أمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يرد عليهم مجيباً: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴾ الإسراء: ٩٥، ليظهر لهم فساد اعتقادهم بشبهتهم تلك(٣).

أي: قل للذين أبوا الإيمان بك وتصديقك فيما جئتهم به من عندي استنكاراً لئن يبعث الله رسولاً من البشر: لو كان أيها الناس في الأرض ملائكة لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً، فيرسل إلى البشر رسولاً منهم، كما لو كان في الأرض ملائكة لأرسل اليهم رسولاً منهم(٤) (ليسهل عليهم الاجتماع به والتلقي منه)(٥).

ومعنى: ﴿ مُطۡمَئِنِّينَ ﴾ (مستوطنين في الأرض)(٦). فالمطمئن هو: الساكن، وأُريد به هنا: هنا: المتمكن غير المضطرب، أي: مشى قراراً في الأرض، فلو كان في الأرض ملائكة قاطنون على الأرض غير نازلين برسالة للرسل، لأنزل الله سبحانه عليهم ملكاً من السماء رسولاً.

ولما كان المشي والاطمئنان في الأرض من صفة الإنسان جاز أن ينتقل الكلام إلى معنى آخر يشبه المعنى السابق، وهو: لو كنتم ملائكة لنزلنا عليكم من السماء ملكاً، فلما كنتم بشراً أرسلنا إليكم بشراً مثلكم، فقد اختص الله سبحانه

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/ ٢١٢.

(٢) ينظر: روح المعاني: ١٧١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ١٥/ ٢١٠-٢١١.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٧/ ٥٥٨.

(٥) روح المعاني: ١٥/ ١٧٢.

(٦) لسان العرب: ١٣/ ٢٦٨.

رسوله ﷺ باجتثاث هذه الشبهة الباطلة من اصلها، ولم يلقن هذا الدليل من سبقه من الرسل، فإنهم تلقوا تلك الشبهة بانتصار الله تعالى لهم على أقوامهم من أخبر عن نوح ﵇: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ الشعراء: ١١٧ – ١١٨، وعن هود ﵇﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ﴾ الشعراء: ١٣٩، وعن موسى وهارون عليهما السلام ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾ المؤمنون: ٤٨ ... وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، فمنح الله سبحانه رسوله محمداً قواطع الأدلة لإبطال الشرك وشبه الضلال بما يناسب كونه خاتم الرسل⁽¹⁾.

وأخيراً: إذا ما تأملنا في الآية السابقة ملياً فسنلحظ تلك الإشارة الرائعة المذكورة في محاسن التأويل: (في الآية إشارة إلى حاجة من يستقر في الأرض إلى الرسالة، وقد قضت رحمة الباري تعالى وعنايته بذلك، فمنَّ على الخلق بالرسل، وأتم حاجتهم بخاتم انبيائه، فأنقذهم من الحيرة)⁽²⁾.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/ ٢١٢-٢١٣.

(٢) محاسن التأويل: ١٠/ ٤٠٠١.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

فبعد تجوالنا حول آيات الاطمئنان في بستان تفسير القرآن نوضح أهم ما تم جنيه من ثمار البستان:

١. ورد الاطمئنان في قصة نبي الله إبراهيم ﵇ لما فيه من الفائدة للسامعين، فدلَّ على أنه سأل ربه عز وجل رؤية كيفية احياء الموتى ليحصل على الاطمئنان، فيكف قلبه عن التفكير في كيفيتها، وقام الاطمئنان بنفس المهمة تقريباً في قصة طلب الحواريين إنزال المائدة من السماء، فقد ذكروا أنلطلبهم غايات وكان الاطمئنان ثاني الغايات بعد الاكل فدل ذلك على أن سؤالهم لم يكن صادراً عن شكهم في قدرة الله تعالى، إلا أن أسلوب سؤالهم كان مختلفاً عن أسلوب نبي الله إبراهيم ﵇.

٢. أمة عيسى ﵇ طلبت الطمأنينة بعد معاينة المعجزات، فسألها لهم نبيهم، أما الأمة المحمية فقد بدأهم الله سبحانه بإنزال السكينة عليهم من غير سؤال مسبق، كما في قوله سبحانه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ الفتح:٤.

٣. الاطمئنان إذا كان عطية من الله سبحانه، كالاطمئنان بذكره عز وجل، كان نعمة للعبد وإذا ما كان سجية من العبد كالاطمئنان بالحياة الدنيا والركون إليها والرضا بها دون الآخرة كان نقمة عليه، يستحق لأجله النار والخسران المبين، فعلى الإنسان أن يتجنب هذا النوع من الاطمئنان ويسعى جاهداً إلى الحصول على الاطمئنان المحمود فإذا ما وجده في قلبه فليحافظ عليه بشكر المنعم لأن الشكر يديم النعم.

٤. الطمأنينة بذكر الله سبحانه هي: نور يفيضه الله عز وجل على قلوب المؤمنين بسبب ذكره فيذهب ما كان فيها من الوحشة والقلق ونحو ذلك

٥. وصف الله تعالى المؤمنين في كتابه العزيز باطمئنان قلوبهم بذكره عز وجل، واختير الفعل المضارع (تطمئن) ؛ للدلالة على تجدد الاطمئنان واستمراره لدى الذاكرين، وعمم لفظ (القُلُوب) ؛ لإثارة السامعين، كي يتسموا بسمة المؤمنين الذاكرين ؛ لأن هذا الامر بمتناولهم.

٦. يكون المؤمن عند ذكر الله تعالى بين حالتين: (الاطمئنان والوجل) فهو مطمئن دائماً بوعد الله بالثواب والرحمة، وبصدق وعده عز

وجل، وبصدق رسوله ﷺ في كل ما أخبر عنه، وهو في الوقت نفسه وجل من إقدامه على المعاصي بسبب شكه: هل أنه احترز المعصية الموجبة للعقاب أو لا؟ أو بسبب شكه بالطاعات التي اتى بها، أكانت على وجه التمام كي توجب له الثواب أم لا ؟ فقلبه بين الطمأنينة والوجل، وكلاهما من صفات المؤمنين.

٧. الاطمئنان بالحياة الدنيا يحول دون اطمئنان القلوب بذكر الله عز وجل، وكذلك يمنعها من الخوف والوجل فتصير كالميتة عند ذكر الله تعالى، فهذا النوع من الاطمئنان كأنه يخرج الإنسان عن دائرة المؤمنين بصفتين هما: (الاطمئنان والوجل) عند ذكر الله تعالى، لقوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾الرعد:٢٨، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ الأنفال:٢.

٨. من معاني الاطمئنان: الاستقرار كما في قوله سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ ﴾ النحل:١١٢، وقدم الأمن على الاطمئنان ؛ لأن الاطمئنان لا يمكن حصوله بدون أمن، فإذا فقد الامن فقد الاستقرار، فكأن الأمن والاطمئنان هنا كالشيء الواحد، وقد أشار الاطمئنان في هذه الآية إلى نعمة (الصحة) ؛ لأن معناه: (الاستقرار) فدل على هواء ذلك البلد لاعتداله كان ملائماً لأمزجة أهله، فوجدت عنهم الصحة، فاستقروا لأجلها، ولم ينتقلوا إلى طلبها.

وهناك نتائج عامة، تشمل عدة أمور مختلفة جاءت في سياق ما ذكرناه من آيات، وهي:

١. الحكمة من تعدد واختلاف الطيور لسيدنا إبراهيم عليه السلام هي: زيادة التحقق في أن الإحياء لم يكن أهون في بعض الأنواع دون البعض الآخر، وفائدة ادنائها اليه: ليتأمل أحوالها، فيعلم بعد إحيائها أنها لم ينتقل جزء منها عن موضعه، ووضعت أجزاؤها على الجبال ؛ لزيادة التفرقة بينها، فقد فرقت بالفصل عن أجسادها وبوضعها في أمكنة متباعدة وعسرة التناول، كل ذلك كان زيادة لحصول الطمأنينة.

٢. نداء الحواريين لنبيهم عيسى عليه السلام باسمه: (ياعيسى ابن مريم) يدل على أنهم لم يكونوا يعظمونه كما يعظم المسلمون نبيهم محمداً ﷺ

إذ كانوا لا ينادونه باسمه وإنما يقولون: يا نبي الله، يا رسول الله، وقول الحواريين لنبيهم: (ابن مريم) يدل على أنهم كانوا يعتقدون فيه الاعتقاد الصحيح من نسبته إلى أم دون أب.

٣. طلب الحواريين إنزال المائدة من السماء لا يعني أن في السماء موائد منصوبة، بل فيه دلالة على أن الكون كله مائدة لله منصوبة يأخذ منها كل انسان على قدر عمله، والقصد من تعيينهم المائدة من السماء هو: انه لا صنع للآدميين فيها، ليختصوا بها عمن تقدمهم من الامم.

٤. أقدم المفسرون على توجيه سؤال الحواريين: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾ المائدة ١١٢، وتوجيه جواب نبيهم عيسى ﵇ لهم ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ المائدة ١١٢، لتبرئة الحواريين من الشك في قدرة الله تعالى وصدق رسالة عيسى ﵇، والسبب في ذلك يعود إلى أن أسلوب سؤال الحواريين كان فيه شيء من الفضاضة، وقد أورده لنا القرآن الكريم منا هو ؛ لتمييز الأمم عن بعضها في معاملتهم لأنبيائهم عليهم السلام لأن الأمة المحمدية شاهدة على الأمم السابقة.

٥. سلك كل من خليل الله وروح الله عليهما السلام في سؤالهما من الله عز وجل مسلك الضراعة وحسن الأدب، أما الحواريون فلم يسلكوا هذا المسلك، وقدموا بشريتهم على روحانيتهم، وهذا يشير إلى مراتب درجات الأرواح في كون بعضها روحانية وبعضها جسمانية، وهذا الأمر يوصلنا أيضاً إلى الفارق بين إيمان المبلغ عن الله تعالى، وإيمان من تلقى البلاغ عنه فمن تلقى البلاغ عن المبلغ يحتاج إلى يقين أعمق.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر

ـ بعد القرآن الكريم.

ـ الاعلام لخير الدين الزركلي – بيروت، ١٩٧٠م.

ـ الإمام أبو الثناء الالوسي، د.محسن عبد الحميد، دار الكتب والوثائق، بغداد،ط١، ١٩٩٢م.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي البيضاوي، المطبعة الخيرية (د.ت).

ـ البحر المحيط للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي (ت٧٥٤هـ) دار الفكر، ط٢، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)المحقق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

ـ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.

ـ التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، (د.ت.ط).

ـ التعبير القرآني، تأليف د. فاضل صالح السامرائي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، ١٩٨٦-١٩٨٧م.

ـ تفسير الجلالين للإمامين الجليلين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، قدم له وعلق عليه محمد كريم سعيد، مكتبة النهضة – بغداد.

ـ تفسير الشعراوي للشيخ محمد متولي الشعراوي، مطبعة دار اخبار اليوم، (٦) اكتوبر .

ـ تفسير القرآن الحكيم للأستاذ محمد رشيد رضا، الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، ط٢ .

ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي دار المعرفة – بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م.

ـ التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي، دار القلم – بيروت، ط١ (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

ـ تقريب التهذيب، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط٢.

ـ تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي، تحقيق د. علي محمود مقلد، مكتبة الحياة – بيروت، ١٩٨٦ .

ــ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي، دار الكتاب العربي – القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي (١٣٠٧-١٣٧٦هـ) حققه وضبطه وصححه: محمد زهري النجار، عالم الكتب، ط١ (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ب نغالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

- الجبال في القرآن الكريم، بحث مقدم الى مجلس كلية الإمام الأعظم لإعداد الائمة والخطباء والدعاة من الطالب صهيب عمر عبد الله، بإشراف د. اكرم عبد الوهاب / ٢٠٠٢م.

- حاشية السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد زين الدين الحسيني الجرجاني (على الكشاف)، دار المعرفة – بيروت، د.ت.

- دراسات في علم النفس الإسلامي،د. محمود البستاني،ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار البلاغة – بيروت.

- درة التنزيل وغرة التأويل، في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، للخطيب الاسكافي، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل السيد محمود الآلوسي ت (١٢٧٠هـ)، دار احياء التراث، بيروت.

- السراج المنير للخطيب الشربيني المطبعة الخيرية، د.ت.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- صحيح البخاري للإمام محمد بن اسماعيل عبد الله البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ) دار ابن كثير – بيروت، تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ/ ١٩٩٧م).

- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج (٢٠٦-٢٦١هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي – بيروت (د.ت).

- صفوة البيان لمعاني القرآن، للشيخ حسنين مخلوف، الكويت، ط٣، ٠٤٧ هـ/ ١٩٨٧م.

- صفوة التفاسير للأستاذ محمد علي الصابوني، دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

- طبقات المفسرينالإمام الحافظ الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ت ٩١١

ه راجع النسخة وضبط اعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

ـ الطمأنينة السيكولوجية المبسطة، أنعام محمد عيسى، منشورات دار الافاق الجديدة – بيروت، ط١، ١٩٧٨م.

ـ غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين محمد بن محمد الجزري ت (٨٣٣هـ) دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للإمام النيسابوري،، دار المعرفة – بيروت، ط٢.

ـ غريب القرآن وتفسيره لأبي عبد الرحمن الزيدي، تحقيق محمد سليم الحاج،ط١.عالم الكتب.

ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشيخ محمد الشوكاني، دار الفكر ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

ـ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١.

ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة – بيروت.

ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. لابي محمد مكي بن ابي طالب القيسي (٣٥٥-٤٣٧هـ) تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

ـ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

ـ لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، (د.ت.ط).

ـ اللباب في علوم الكتاب للإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي ت(٨٨٠هـ) تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

ـلسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣ – ١٤١٤ هـ.

ـ لطائف الاشارات، للإمام القشيري قدم له وحققه وعلق عليه د. ابراهيم بسيوني، دار الكتاب العربي – القاهرة.

ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للإمام علي بن بكر الهيثمي ت (٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي – القاهرة ١٧٠٧هـ.

ـ محاسن التأويل (تفسير القاسمي) لعلامة الشام محمد جمال الدين القاسمي (١٢٨٣-١٣٣٢هـ)، صححه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى بابي الحلبي، ط١ (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن محمود النسفي، المكتبة الشعبية – بيروت.

ـ المستدرك على الصحيحين، للإمام محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (٣٢١-٤٠٥هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

ـ مسند أبي عوانة للإمام يعقوب بن اسحاق الاسفراييني (٣١٦هـ) دار المعرفة – بيروت.

ـ المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن احمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ) دار الحرمين – القاهرة، ١٤١٥هـ تحقيق طارق عوض الله محمد، وعبد المحسن ابراهيم الحسيني.

ـ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦)، دار الكتب العلمية – طهران، ط٢.

ـ المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المتوفى ٥٠٢هـ، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة.

ـ مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال لابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي تحقيق علي محمد البجاري، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

ـ النشر في القراءات العشر، للحافظ محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، ت(٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، (د.ت).